شاهد على العصر

مصطفى الفقي

الكتاب: شاهد على العصر/ مصطفى الفقي
المؤلف: بطيشة، عمر
النوع: برامج الإذاعة
تصميم الغلاف: جيهان متولي
إخـــراج داخلي: بثينة عزام
الطبعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١١
عـــدد الصفحات: ٩٦ صفحة
المقاس: ١٤×٢٠
تدمك:

١ – برامج الإذاعة

صرح للنشر والتوزيع

المدير العام: عبود مصطفى عبود

كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسـين (أ) بـرج (٢) الدور العاشر.

ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(٢+)

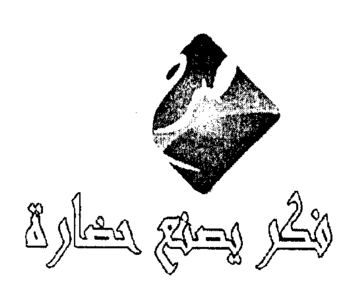
البريد الإليكتروني: darsarh@gmail.com
الموقع الإليكتروني: www.dar-sarh.com
رقـــم الإيداع: ٢٠١٠/١٦٠٩٥
الترقيم الدولي: 978-977-6382-33-6
ديوي٣٨٤,٥٤٤٣

شاهد على العصر

مصطفى الفقي

مع

عمر بطيشة





الدكتور/ مصطفى الفقي

مقدمة الناشر

التاريخ المصري مليء بالأسرار والخبايا، التي لم يكشف عنها أحدٌ حتى الآن؛ ولهذا أسباب كثيرة، ربما يكون منها عدم الإفراج عن الوثائق التي تشهد على الأحداث وضياعها بعد ذلك، على عكس ما يحدث في دول الغرب، حيث تسمح القوانين فيها بالاطلاع على الوثائق بعد مُضيّ فترة من الزمن.

لذا كانت شهادات الشخصيات الكبيرة حول الأحداث التي عاصروها وشكّلوا جزءًا مهمًا من ملامحها مصدرًا مهمًا من مصادر معرفتنا بالتاريخ.

حقًا، قد يشوب الشهادة بعض التحيّز أو عدم الدقّة، لكنها تبقى في النهاية مصدرًا لا نستطيع تجاهله أو عدم الاعتداد به، خاصة إذا قارنّاها بشهادات الآخرين، فربما نخرج منها بحقيقة أو درس مهنيّ أو موقف إنسانيّ يساعدنا على تكوين رؤية واضحة لمشهدٍ ما في حياتنا أو تاريخنا، من هنا كانت أهمية هذه السلسلة التي تحمل عنوانًا دالًا على مضمونها وهو (شاهد على العصر) فالشخصيات التي معنا قامات مصرية كبيرة، شهدت أحداثًا كانت نقاطًا فارقة ومنعطفات تاريخية

مهمة، لذا.. من المهم أن نتعرف على ما عندهم ولم تذكره الكتب، لكنهم أفاضوه وقصوه مع الإذاعي الكبير عمر بطيشة في برنامجه الشهير «شاهد على العصر». والذي يسعدنا أن تكون مادته بين يديك عزيزي القارئ من خلال هذه السلسلة، بذلك نكون قد ساهمنا بدورنا في توثيق هذه الشهادات حتى يستطيع القارئ والباحث الرجوع إليها وقتما يريد.

وهذه الشهادة – تحديدًا – تزداد أهمية لكون الشاهد وهو الدكتور/ مصطفى الفقي أحد الرجال الذين اقتربوا جدًا من مراكز اتخاذ القرارات العليا بالإضافة إلى ثقافته الموسوعية، ودرايته الكبيرة بكافة المتغيرات التي جرت وتجري على كافة الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية.


سيرة ذاتية
مصطفى الفقي



نشـأتـه :-

ولد مـصطفى الفقـي (و. نـوفمبر١٩٤٤): سياسي مـصري، ولـد بمركـز المحمودية محافظة البحـيرة في سبتمبر ١٩٤٤. درس بمـدارس دمنهور الإعدادية والثانوية. حـصل على بكـالوريوس كلية الاقتـصاد والعلـوم الـسياسية - جامعـة القـاهرة عـام ١٩٦٦. حـصل عـلى درجـة الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٧٧. ثم التحق بالسلك الـدبلوماسي فعمل في سفارتي مصر ببريطانيا والهند.

مناصبـه

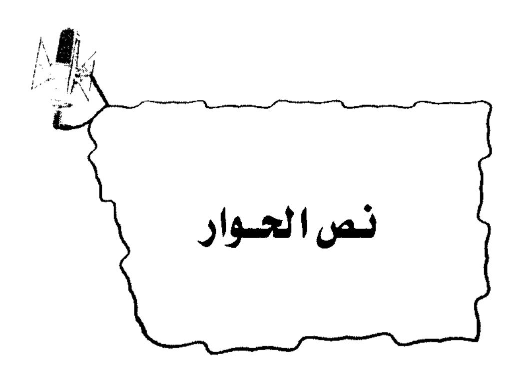
- عضو بالحزب الوطني الديمقراطي الحاكم.
- أمين عام المجلس الاستشاري للسياسة الخارجية.
- أمين معهد الدراسات الدبلوماسية.
- سفير مصر بجمهورية النمسا.
- سفير غير مقيم بجمهورية سلوفاكيا وسلوفينيا.
- مندوب مصر بالمنظمات الدولية في فينا.
- عمل سكرتيرًا للرئيس محمد حسني مبارك للمعلومات بين عامي ١٩٨٥، ١٩٩٢.

- قام بالتدريس في الجامعة الأميريكية، وأشرف على عدد من الرسائل العلمية.
- أحد المتحدثين في الجلسة الافتتاحية للمنتدى الاقتصادي الدولي في «دافوس» بسويسرا في يناير سنة ١٩٩٥.
- عضو مجلس الشعب عن انتخابات سنة ٢٠٠٥ عن دائرة دمنهور. وهو رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب.

جوائزه

- حصل على كأس الخطابة في أسبوع شباب الجامعات المصرية عام ١٩٦٥.
- حصل على الجائزة الأولى في المقال السياسي للشباب من المجلس الأعلى للعلوم والفنون والآداب سنة ١٩٦٦.
- حصل على جائزة أفضل كتاب في الفكر السياسي من معرض القاهرة الدولي للكتاب.
- حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٤.

- نال وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من حكومة النمسا عام ١٩٩٨ .
- حصل على أعلى وسام نمساوي يُعطى للسفراء الأجانب.
- أهداه القاصد الرسولي (سفير الفاتيكان)، عميد السفراء في النمسا، ميدالية من بابا الفاتيكان.


نص الحوار



التحولات العالمية وسقوط السياسات الحمائية

في صدر الشهادة تعودنا أن يقدِّم شاهد العصر رؤية عامة تنتظم أهم الظواهر والمستجدات والمعطيات والحقائق التي أعطت أو تعطي لهذا العصر شكله ووجهه المتميز بين العصور فما هي أهم ملاحظات الدكتور مصطفى الفقي في البداية؟[١]

بالطبع أنت تلاحظ ويلاحظ معي كل المهتمين بالشؤون الدولية والإقليمية أن العالم يشهد تغيّرات سريعة ومتلاحقة إلى الحد الذي يجعلنا نقول إن الخمس أو السبع سنوات الأخيرة جرى فيها تطورات أكثر مما جرى في نصف قرن ماضي وكأننا بصدد نتائج حرب عالمية دون أن تحدث بدليل إن نتائج الحربين العالميتين الأولى[٢] والثانية[٣] سواء جغرافيًا أو سياسيًا انتهت دول واختفت

---

[١] أذيع هذا الحوار عام ١٩٩٤.

[٢] **الحرب العالمية الأولى أو الحرب العظمى**: هي حرب قامت في أوربا ثم امتدت لباقي دول العالم خلال أعوام ما بين ١٩١٤ و ١٩١٨. بدأت الحرب حينما قامت إمبراطورية النمسا والمجر بغزو مملكة صربيا إثر حادثة اغتيال ولي عهد النمسا وزوجته من قبل طالب صربي أثناء زيارتهما لسراييفو.

قامت روسيا بتعبئة قواتها بعد يوم واحد من إعلان النمسا الحرب على صربيا فعبئت ألمانيا قواتها في ٣٠ يوليو ثم عبئت في ١ أغسطس فرنسا قواتها. أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا

في اليوم نفسه بعد أن وجدت عدم تجاوب الروس بشأن طلب ألمانيا إلغاء التعبئة العامة للجيش ثم أعلنت الحرب على فرنسا واجتاحت بلجيكا، مما دفع بريطانيا لدخول الحرب بسبب خرق الألمان حياد بلجيكا، وقد كانت الأمم الأوروبية قبل الحرب مشكّلة من معسكرين أولهما الوفاق الثلاثي بين روسيا وفرنسا والمملكة المتحدة، بينما تشكّل الحلف الثلاثي من إمبراطورية النمسا والمجر وألمانيا وإيطاليا على الرغم من دخول إيطاليا الحرب في جانب الحلفاء.

استعملت لأول مرة الأسلحة الكيميائية في الحرب العالمية الأولى كما تم قصف المدنيين من السماء لأول مرّة في التاريخ.

شهدت الحرب ضحايا بشرية لم يشهدها التاريخ من قبل وسقطت السلالات الحاكمة والمهيمنة على أوروبا والتي يعود منشأها إلى الحملات الصليبية، وتم تغيير الخارطة السياسية لأوروبا.

تعد الحرب العالمية الأولى البذرة للحركات الإيديولوجية كالشيوعية وصراعات مستقبلية كالحرب العالمية الثانية، بل وحتى الحرب الباردة.

شكلت الحرب البداية للعالم الجديد ونهاية الأرستقراطيات والملكيات الأوروبية، وكانت المؤجج للثورة البلشفية في روسيا التي بدورها أحدثت تغيرًا في السياسة الصينية والكوبية كما مهّدت الطريق للحرب الباردة بين العملاقين، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة. ويُعزى سطوع بريق النازية لهزيمة ألمانيا في الحرب وترك الكثير من الأمور معلقة حتى بعد الحرب. وأخذت الحروب شكلًا جديدًا في أساليبها بتدخل التكنولوجيا بشكل كبير في الأمور الحربية ودخول أطراف لا طاقة لها بالحروب ولا حمل وهي شريحة المدنيين. فبعدما كانت الحروب تخاض بتقابل جيشين متنازعين في ساحة المعركة بعيدًا عن المدنية، فقد كانت المدن المأهولة بالسُّكان ساحات للمعركة مما نتج عن سقوط ملايين الضحايا.

وكانت روسيا قد تعهّدت بالدفاع عن السيادة الصربية، فقامت روسيا بتحريك قواتها نتيجة ضغوط الجنرالات الروس للدفاع عن الصرب. وطالبت ألمانيا من روسيا عدم تحريك القوات وأن تتراجع القوات الروسية عن حالة الاستعداد، ولمّا لم تمتثل روسيا للمطالب الألمانية، أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا في ١ أغسطس ١٩١٤ ولحقتها بإعلان آخر ضد فرنسا في ٣ أغسطس.

كيانات سياسية وظهرت دول أخرى. فسمة العصر هي سرعة التحول وإيقاع التغيير أسرع مما نتصوّر لو أن أحدًا قال منذ سبع سنوات مضت أن الاتحاد السوفييتي لن يكون له وجود في أقل من عشر سنوات قادمة لظن الناس أن به ضربًا من الجنون.. إنما أثبت الواقع أن كل شيء محتمل وجيلنا بالذات شهد تحوّلات ضخمة وكبيرة سواء على المستوى الوطني في مصر أو المستوى القومي العربي أو المستوى الدولي، أهم الصفات أو السمات التي تلحق

---

(٣) **الحرب العالميّة الثانية**: هي نزاع دولي مُدمّر، بدأ في ٧ يوليو ١٩٣٧ في آسيا و ١ سبتمبر ١٩٣٩ في أوربا وانتهى في عام ١٩٤٥ باستسلام اليابان. قوات مسلحة من حوالي سبعين دولة شاركت في معارك جوية وبحرية وأرضية.

تعدّ الحرب العالميّة الثانية من الحروب الشموليّة، وأكثرها كُلفة في تاريخ البشريةً لاتساع بقعة الحرب وتعدّد مسارح المعارك والجبهات، شارك فيها أكثر من ١٠٠ مليون جندي، فكانت أطراف النزاع دولًا عديدة والخسائر في الأرواح بالغة، وقد أزهقت الحرب العالمية الثانية زهاء ٧٠ مليون نفس بشريةٍ بين عسكري ومدني.

تكبّد المدنيون خسائر في الأرواح إبّان الحرب العالميّة الثانية أكثر من أي حرب عبر التاريخ، ويُعزى السبب للقصف الجوي الكثيف على المدن والقرى الذي ابتدعه الجيش البريطاني بمجرد وصول ونستون تشرتشل إلى السلطة ورد عليه الجيش النازي بالمثل، فسقط من المدنيين من سقط من كلا الطرفين، أضف إلى ذلك المذابح التي ارتكبها الجيش الياباني بحق الشّعبين الصيني والكوري إلى قائمة الضحايا المدنيين ليرتفع عدد الضحايا الأبرياء والجنود إلى ٥١ مليون قتيل، أي ما يعادل ٢% من تعداد سكان العالم في تلك الفترة.

بهذا وتعززه هي ثورة المعلومات أي حدث يقع في أي ركن من أركان الدنيا الأربعة يجد صداه في كل أرجاء العالم في اليوم نفسه تقريبًا وأحيانًا بعد دقائق قليلة، أصبحت سماء العالم في كل دولة مفتوحة فلا تستطيع أن تجد حاجزًا يمنع المعلومات، فسقطت فكرة الحماية أو أسوار الحماية الثقافية.

هذا لأن العالم أصبح كلًا واحدًا وليست دولًا أشبه بالجُزر المنعزلة، فثورة المعلومات ووسائل الاتصال والتقدُّم التكنولوجي الهائل جعل العالم قرية صغيرة هذا على المستوى الملموس، في ظواهر أخرى لها طابع لا تلمسه، ولكن تشعر به مثل ظاهرة تنامي الرأي العام الدولي وبلوغ الضمير الدولي مرحلة من النضوج بمعنى لم يعد العالم يتحرك إلى قضية معينة بسبب عنصري موضوع، خذ عندك مثلًا: موضوع الحرب البوسنية في البوسنة والهرسك[٤] التعاطف المسيحي واليهودي مع الضحايا لا يقل عن

---

(٤) **جمهورية البوسنة والهرسك**: دولة تقع في البلقان بجنوب شرق أوربا، إحدى جمهوريات يوغوسلافيا السابقة. التي كانت تقع في جنوب أوربا، يحدّها من الشمال والغرب والجنوب كرواتيا، من الشرق صربيا ومن الجنوب الغربي جمهورية الجبل الأسود، وهي تكاد تكون

دولة مقفلة لا ساحل لها على البحر فيما عدا شريط ساحلي طوله ٢٦ كيلو مترًا على البحر الأدرياتيكي تقع في منتصفه مدينة نيوم الساحلية. تقع الجبال في الوسط والجنوب، والتلال في الشمال الغربي أما شمال غربي البلاد فهي مستوية. وتعتبر البوسنة إحدى المناطق الجغرافية الضخمة التي لها مناخ قاري معتدل، حيث حارة صيفًا وباردة مع هطول الثلوج شتاءًا. تقع مقاطعة الهرسك الصغرى إلى الجنوب من الجمهورية، وهي ذات طبيعة جغرافية ومناخ متوسطي.

تعتبر البوسنة موطن لثلاث "عرقيات أساسية": البوشناق وهم أكبر المجموعات العرقية الثلاث، يليها الصرب ثم الكروات. بغضّ النظر عن العرقية فإن مواطني تلك الجمهورية يسمّون بالبوسنيون. والفارق ما بين البوسنيون والهرسكيون هو فارق جغرافي وليس فارقًا عرقيًّا. ثم إن البلد ليست له مركزية سياسية، فهي تضم كيانين يحكمانها: اتحاد البوسنة والهرسك والجمهورية الصربية، بالإضافة إلى مقاطعة بريتشكو بوصفها الكيان الثالث. وقد نشبت الحرب البوسنية عندما قادت انتخابات ١٩٩٠ إلى تكوين مجلس برلماني يهيمن عليها ثلاثة أحزاب على أساس عرقي، وقد شكلت تحالفًا فضفاضًا لطرد الشيوعيين من السلطة. ثم أعلنت كلًا من كرواتيا واعقبتها سلوفينيا الاستقلال، فالحرب التي تلت ذلك وضعت البوسنة والهرسك والشعوب الثلاثة المكونة لها في موقف حرج. وقد كان هناك انقسام كبير سرعان ماتطور ووضع مسألة ما إذا كان البقاء ضمن الإتحاد اليوغوسلافي (ويؤيده الصرب بشكل ساحق) أو طلب الاستقلال (ويؤيده البوشناق والكروات بشكل ساحق). فأعضاء البرلمان الصرب، وخاصة من حزب الصربي الديموقراطي، تركوا البرلمان المركزي في سراييفو وشكّلوا برلمانًا أسموه المجلس الوطني لصرب البوسنة ولهرسك وذلك في ٢٤ أكتوبر ١٩٩١، مما أنهى التعاون العرقي الثلاثي الذي حكم البلاد في أعقاب انتخابات ١٩٩٠، وهذا المجلس أنشأ جمهورية صرب البوسنة والهرسك يوم ٩ يناير ١٩٩٢، ثم غيّر الاسم إلى الجمهورية الصربية في أغسطس ١٩٩٢. وفي ١٨ نوفمبر ١٩٩١ كان فرع البوسنة والهرسك للحزب الحاكم في كرواتيا المسمى الإتحاد الديموقراطي الكرواتي (HDZ) أعلن بإنشاء مايسمى بالمجتمع الكرواتي للبوسنة والهرسك وهو منفصل سياسيًا وثقافيًا واقتصاديًا بكامل أراضيه عن إقليم البوسنة والهرسك وله جيش خاص به يسمى بمجلس الدفاع الكرواتي. وهو مالم تعترف به الحكومة البوسنية. وأعلنت المحكمة الدستورية البوسنية مرتين بأن تلك الجمهورية غير شرعية، بالمرة الأولى بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٩٢ والثانية في ٢٠ يناير ١٩٩٤.

تم الإعلان عن سيادة البوسنة والهرسك في تشرين الأول عام ١٩٩١، ثم أعقبها استفتاء على الاستقلال عن يوغوسلافيا في فبراير ومارس ١٩٩٢ وقد قاطعته الغالبية العظمى من الصرب. وكانت نسبة المشاركة في الاستفتاء على الاستقلال ٦٣,٤٪ وقد صوت لصالح الاستقلال ٩٩,٧٪ من الناخبين. وتم إعلان استقلال البوسنة والهرسك بعدها بفترة قصيرة. وبعد فترة من التوتّر وتصاعد حدته وقيام حوادث عسكرية متفرِّقة، اندلعت حرب مفتوحة في سرايفو في ٦ أبريل. في أوائل مارس ١٩٩١ عقدت مباحثات سرية ما بين فرانيو تودجمان وسلوبودان ميلوسيفيتش لتقسيم البوسنة بين الصرب والكروات والمعروفة باسم اتفاق كارادورديفو. فبعيد إعلان استقلال جمهورية البوسنة والهرسك، هاجم الصرب مناطق عدة من البوسنة، مما أثر على إدارة الدولة في تلك الجمهورية بشكل قوي فتوقف العمل فيها بعد أن فقدت السيطرة على أراضيها. وقد كان الصرب يسعون لاحتلال المناطق ذات الأغلبية الصربية شرق وغرب البوسنة، بينما سعى الكروات بزعامة تودجمان إلى ما يسمى بتأمين أجزاء من البوسنة والهرسك كمناطق كرواتية. فسياسات كرواتيا تجاه البوسنة والهرسك لم تكن واضحة وشفافة، فقد سعت إلى تطبيق هدف تودجمان المتمثل في توسيع حدود كرواتيا على حساب البوسنة. فأضحى المسلمون البوشناق هدفًا سهلًا، وهم المجموعة العرقية الوحيدة الموالية للحكومة البوسنية، وذلك لأن قوات الحكومة البوسنية كانت سيئة التجهيز وغير مهيئة للحرب.

بعد الاعتراف الدولي بالبوسنة والهرسك ازدادت الضغوط الدبلوماسية لسحب الجيش الشعبي اليوغسلافي من مناطق البوسنة، وهو ماتم فعله بشكل رسمي، لكن بالواقع فإن أعضاء الجيش من الصرب البوسنيون غيروا شاراتهم العسكرية، وشكّلوا ما يُسمى جيش جمهورية صرب البوسنة واستمروا في الحرب، مستحوذين على مخزونات الجيش اليوغسلافي الموجودة في الأراضي البوسنية، وتلقوا الدعم من المتطوعين وقوات شبه عسكرية من صربيا، واستمرّ الدعم اللوجستي والمالي من جمهورية يوغسلافيا الاتحادية، وقد كان نية جيش صرب البوسنة في هجومهم سنة ١٩٩٢ هو الاستحواذ والسيطرة على أكبر قدر ممكن من الأراضي.

في البداية هاجمت القوات الصربية التجمعات المدنية لغير الصرب في شرق البوسنة. فما أن وقعت تلك القرى والبلدات في أيديهم، حتى بدأت تلك القوات مع الشرطة والمليشيات شبه العسكرية وأحيانًا بمساعدة أهالي القرى الصرب في تنفيذ خطة محددة؛ نهب وإحراق منازل وممتلكات البوشناق بصورة منهجية، وتجميع المدنيين من مسلمي البوسنة أو القبض عليهم، وقد يتعرضون للضرب المبرح أو قتل جراء تلك العمليات. وقد تم تهجير ما يقارب ٢,٢

مليون بوسني عن أراضيهم (من الطوائف الثلاث). فاحتجز الكثير من الرجال في مخيمات. أما النساء فكان يحتفظ بهن في مراكز اعتقال متعددة حيث يعشن في ظروف قاسية وغير صحية، ويتعرضن لأسوأ المعاملات بما فيها الإعتداءات الجنسية المتكررة. فقد يأتي الجنود الصرب أو رجال الشرطة إلى مراكز الاعتقال تلك، فينتقون من النساء مايشاءون لقضاء وطرهم واغتصابهن.

ثم بعد ذلك اتجهت الأنظار صوب نوفي ترافنيك وغورني فاكوف سنة ١٩٩٢ حيث محاولات مجلس الدفاع الكرواتي لزيادة قوته. وفي ١٨ يونيو ٩٢ استلم الدفاع البوسني لمنطقة نوفي ترافنيك إنذار نهائي من الكروات والذي تضمن قائمة مطالب لإلغاء مؤسسات البوسنة والهرسك الموجودة بها، وبسط سلطة الكروات في البوسنة والهرسك والتعهد بالولاء لها، واخضاع الدفاع عن تلك المنطقة لمجلس الدفاع الكرواتي وطرد اللاجئين المسلمين، كل ذلك يكون خلال ٢٤ ساعة. فبدأ الهجوم يوم ١٩ يونيو، فتعرضت مدرسة ابتدائية ومكتب بريد للهجوم والتدمير. أما غورني فاكوف فتعرضت للهجوم يوم ٢٠ يونيو ٩٢، ولكن الهجوم تم احباطه. أدى اتفاق غراتس إلى التسبب بالانقسام العميق داخل المجتمع الكرواتي وعززت المجموعة الإنفصالية التي قادت الصراع مع البوشناق. وقد قتل أحد الزعماء الكروات المؤيدين للاتحاد وهو بلاز كراليوفيتش (أحد زعماء مجموعات قوة الدفاع الكرواتية) على يد جنود مجلس الدفاع الكرواتي في اغسطس ٩٢، مما زاد من الضعف الشديد في فريق المعتدلين الذين يأملون في الحفاظ على التحالف الكرواتي البوسني حيًّا. فازداد الوضع خطورة في أكتوبر ١٩٩٢ عندما هاجمت قوة كرواتية تجمُّعًا للبوشناق في بروزور. وحسب لوائح الاتهام ضد أحد زعماء الكروات وهو جادرانكو بسريليتش، فإن مجلس الدفاع الكرواتي قد قام بعملية تطهير عرقي للمسلمين من قرية بروزور والقرى المحيطة بها. وفي نفس الوقت فإن الكروات في بلدات كونياك وبوجونيا قد تم ترحليهم قسريًّا من منازلهم. وفي ذلك فقد انتهى التحالف الكرواتي البوشناقي وتم ترحيل الأقلّيات من مناطق الأغلبية العرقية الأخرى.

عند اندلاع النزاع المسلح بين الحكومة التي يغلب عليها البوسنيون في سراييفو وجمهورية كروات البوسنة، كان حوالي ٧٠٪ من أراضي البوسنة تحت سيطرة جمهورية صرب البوسنة. فالانتهاكات التي ترتكب ضد السكان من غير الصرب من تطهير عرقي وضياع الحقوق المدنية كانت متفشّية في تلك المناطق. واستخدمت فرق البحث عن الحمض النووي لجمع أدلة عن الفظائع التي ارتكبتها القوات الصربية خلال هذه الحملات. أحد أبرز الأمثلة

التعاطف الإسلامي في أوربا وأميركا وفي بعض المناطق الأخرى ولذلك أصبحنا في مرحلة -- في رأيي - من مراحل نمو الضمير الإنساني وبلوغ ظاهرة الرأي العام الدولي مبلغًا متقدمًا للغاية. هذه نقطة يتفرّع منها موضوعات خاصة بحقوق الإنسان ، وحماية البيئة والحفاظ على التعدُّديّة السياسية والتجارب الديمقراطية وكأنما أصبح من حق العالم أن يحاكم من يقصّر في هذه النقاط، بغض النظر عن الحدود السياسية أو الكيانات.. لهذا قلت في محاضرة لي في افتتاح الموسم الثقافي للجمعية المصرية للقانون الدولي: «إن مفهوم النظرية في السيادة في القانون الدولي والشرعية دائم التغير في ظل اعتبارات سياسية، أصبح من حق المجتمع الدولي أن يدسّ أنفه في الشؤون الداخلية للدولة إذا انتُهكَت حقوق الإنسان أو

على مذبحة سربرنيتشا، سيطرت الإبادة الجماعية على جلسات المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة. فقد قتل حوالي ٢٠٠،٠٠٠ بوسني مسلم بواسطة السلطات الصربية السياسية. في مارس ١٩٩٤ تم التوقيع على اتفاقات واشنطن بين قادة الحكومة الجمهورية البوسنة والهرسك وأدى إلى إنشاء اتحاد البوسنة والهرسك المشتركة بين مسلمي البوشناق والكروات، التي استردت أراضي جمهورية كروات البوسنة من قبل جيش جمهورية البوسنة والهرسك. هذا الاتحاد حرر بعد ذلك مقاطعة غرب البوسنة ذاتية الحكم الصغيرة.

زُوّرت الحريات أو أُهملت في حماية البيئة»، لم يكن مثل هذا الموقف واردًا في الفكر القانوني ولا في الفكر السياسي منذ عقدين من الزمان مثلًا.

تنامي الرأي العام الدولي وبزوغ الضمير الإنساني

إذا كان ضمير العالم قد أصبح له هذا الثِّقل وهذا الحضور في عصرنا، فهل مواقفه موحّدة إزاء القضايا الإنسانية والسياسية المطروحة على الساحة، أم يكيل بمكيالين في بعض الأحيان؟

هذه قضية لا خلاف حولها وهي خاصة بازدواجية المعايير، لكن عندما قلت: «إن ضمير الإنسانية أصبح ناضجًا»، ليس معنى هذا أن كل الأمور تمضي إلى الأفضل؛ لا.. لأنه يتم توظيف هذا الضمير في ظل اعتبارات إنسانية مدعاة والتنظيمات الدولية وفي مقدمتها الأمم المتحدة[٥] تتدخل أحيانًا في شؤون الآخرين تحت دعايات برّاقة ويبدو هذا وكأنه الحق وهو حق يراد

---

[٥] **الأمم المتحدة:** هي منظمة عالمية تضم في عضويتها جميع دول العالم المستقلة تقريبًا. تأسست منظمة الأمم المتحدة بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥ في مدينة سان فرانسيسكو في ولاية كاليفورنيا الأميركية، تبعًا لمؤتمر دومبارتون أوكس الذي عقد في العاصمة واشنطن.

به باطل، فالازدواجية في المعايير واضحة؛ فالإنسان الأميركي لا يعامل مثل الإنسان الفلبيني أو الفلسطيني أو الإثيوبي. فهناك دومًا أكثر من معيار وأشعر إن القوى الكبرى تتدخل من أجل حماية مصالحها إذا هددها شيء.

بينما تكتفي بالشعارات الطيبة في مواقف أخرى إذا لم يكن لها مصالح مباشرة فيها وتسمع أحاديث عاطفية وشعارات براقة ونداءات، فهي لا يحركها إلا المصالح. أمَّا المعيار الذي تكلمت عنه في البداية، فهو الحق الأدبي للقوى الكبرى التي تبسط ضمير المجتمع للتدخل في شؤون الدول في حالة خرق حقوق الإنسان أو غياب الحريات إلى آخره. وهذا يساء استخدامه للغاية ويتم توظيفه لخدمة مصالح القوى الكبرى في ظل مبررات من الصعب معارضتها، فهنا يتم الحديث عن حقوق الإنسان يمكن أن يحدث نفس الانتهاك في مكان آخر ويتم التعتيم عليه فبالطبع لا زال هناك جزء كبير جدًا أمام الإنسانية عليها أن تقطعه لكي تتوحد المعايير

وننهي إلى الأبد تلك الازدواجية التي نشعر بها في الحكم على القضايا أو التدخل في المشكلات.

لكن رغم هذا أصبح هناك كيانًا اسمه ضمير العالم، وأصبح يتحدث ويعلو صوته في الأحداث.

هذا صحيح، وتستطيع أن تلاحظ أن الإعلام الدولي خاصة يلعب دورًا ضخمًا جدًّا لحماية الحقوق الإنسانية ولحماية الحريات وضمانها ويعترف دائمًا ويتصرف وكأن ولاءه لرجل الشارع في أي مكان في العالم. والحكومات تعاني من هذا، حتى داخل الدولة الواحدة، الإعلام يؤكد الآن أن ولاءه الوحيد هو لمستمعه أو قارئه أو مشاهده ولم يعد أبدًا يضع في اعتباره أي أسباب أخرى أو محاذير أخرى ولذلك لم يعد في الحقيقة هناك سر في العالم، من الممكن أن يكون سرًّا مؤقتًا لكنك لا تستطيع أن تحفظ سرًّا كل الوقت.

التحولات المصرية

الأستاذ الدكتور مصطفى الفقي هذه شهادة خاصة بالساحة العالمية، فماذا لو نقلنا الشهادة الآن إلى مصر بالتحديد؟

الحقيقة.. مصر مرت في العقود الخمس الأخيرة أو الست الأخيرة بتحولات سريعة للغاية وشهدها جيلين على الأقل أو ثلاثة، وشعرنا ونحن ننتمي إلى أحد هذه الأجيال بأن ما يجري حولنا يجب أن يدعونا إلى التأمل.. فقد مررنا بتحوّلات اقتصادية وتحولات سياسية وتحولات اجتماعية، فالواقع أننا مررنا بتطورات كثيرة سقطت فيها مُثُل، وشعرت أجيال بخيبة أمل، وتعرَّضنا لهزائم عسكرية ومآزق اقتصادية، وردة اجتماعية، كل هذا حدث في أوقات متقاربة، فقد سمعنا أحاديث طويلة عن العروبة ثم تراجعنا عنها، وانصبَّ اهتمامنا أكثر بالدين.

أساتذة علم الاجتماع يقولون إن الإرهاب يظهر في المجتمعات المتجه إلى الصناعة بعد مرحلة الزراعة التي يحدث فيها

تحول ديموغرافي بالانتقال من الريف إلى الحضر وأيضًا في أعقاب الحروب.

والواقع أن كل هذه الظروف اجتمعت لدينا؛ فالمجتمع اتجه إلى الصناعة من الخمسينيات وأخذ يقلل من اهتمامه بالزراعة، ثم بدأنا نستعيد بعض هذا الإهمال ونهتم بها أكثر، لكننا أيضًا عانينا من تأثير حروب أربعة بنفقات باهظة وفي فترة زمنية قياسية، لذا ظهرت موجات الإرهاب والتطرّف التي عانينا منها مؤخّرًا.

فهذا كلّه نتاج لعوامل كثيرة في ضمير مجتمع بطبيعته مجتمع نهري قديم فيه نظام إداري عريق يعتبر مالك لأقدم الحضارات على الأرض تقريبًا له تراث ضخم ومجتمع رائد في المنطقة.

ولا ننسى أن مصر صاحبة أول برلمان في المنطقة، وأول أوبرا، وأول مترو أنفاق، وأول سكرتير عام للأمم المتحدة، وأول جائزة نوبل. هذا يجعلك تشعر دائمًا أن مصر مستهدفة وأنها تحت الضوء، بمعنى من الممكن أن يقع حدث ضخم في بلد عربي ما، أو بلد شرق أوسطي، أو آسيوي، فلا تحفل به أجهزة الإعلام العالمية، أمّا

إذا قامت مظاهرة في مدينة صغيرة في مصر أو اعتصام للعمال في أحد المصانع لو حدث هذا يتصدر نشرات الأخبار المعنية بالمنطقة بالعالم كله، لماذا؟ لأنها مصر.

رغم هذا فقد أنجزت مصر الكثير والكثير في فترات صعبة وليس في فترات التألّق. ما رأيكم؟

بالتأكيد.. مصر طوال عمرها مرت بمآزق كثيرة ومرت بظروف صعبة ولذلك أنا مؤمن بأن هذا البلد لديه في ذاته الأسباب الكامنة للتواصل والاستمرار والعطاء، وقد مررنا بظروف أصعب بكثير مما نمر به الآن، لكننا ننسى ودائمًا عندنا إحساس أن القديم أفضل من الجديد وهذا شعور إنساني.

أيكون هذا بفعل الحنين؟

نعم، نتيجة الحنين للذكريات القديمة والتاريخ وسن الشباب إلى آخره، إنما أنا أعتقد أن كثيرًا من جوانب حياتنا أفضل بكثير مما نتصوّر.

الشرعية القانونية والشرعية السياسية وتصنيف القوى والتيارات السياسية

الأستاذ الدكتور مصطفى الفقي، لو قدّمت ردًّا سريعًا أو مسحًا شاملًا موجزًا لأهم التيارات التي تسود الساحة الفكريّة في مصر الآن ماذا تقول؟

أنا أفرّق بين الشرعيّة القانونية والشرعية السياسية فيما يتصل برصد القوى في الشارع المصري، بمعنى: أنت في الشرعية القانونية تركّز على الأحكام والقواعد المنظمة لممارسة العمل وفقًا لأُطر أنت واضعها، إنما أحيانًا توجد قوى ليس لديها هذه الشرعيّة القانونية ولكنها متواجدة في الشارع السياسي .. ضبط إيقاع هذه القوى هو المشكلة الحقيقة التي تواجه صانع القرار في السياسة المصرية، فعليك أن تدعوها لكي تدخل في نطاق الشرعية، وفي الوقت نفسه لديها من الأسباب ما لا يجعلها تمامًا تحت هذه النظرية، ولذلك أنا رأيي أن دعوة السيد الرئيس البناءة جدًا إلى الحوار القومي تعني في مفهومي حوار كل القوى حول كل

القضايا بلا استثناء وأعتقد أن هذا من الممكن أن يكون مقدمة طيبة لخَلْق... ، لا أريد أن أستعمل تعبير جبهة إنما لخلق رصيد متماسك وراء قيادة الدولة لمواجهة المصاعب التي نواجهها وسوف يؤدي ذلك بالضرورة إلى نوع من الميثاق أو الاتفاق لا يشترط أن يكون مكتوبًا، إنما شيء ضمني يجعلنا جميعًا ندرك أن المخاطر تتهدد الجميع بلا استثناء، وأننا جميعًا في قارب واحد، وأن مصر ينتمي إليها الجميع بغضِّ النظر عن اختلاف انتماءاتهم السياسية والفكرية، ولو وصلنا إلى هذه القناعة وتعلمنا آداب الاختلاف ووظفنا اختلاف الرأي في شكل توزيع أدوار يفيد في السياسة الداخلية والخارجية عندئذ نكون على أعتاب دولة ديمقراطية متقدمة، وأرجو أن يحدث هذا، وأن ننبذ جميعًا العنف ونؤمن بأن الأمة هي مصدر السلطات، وأن الدين علاقة بين الإنسان وخالقه، وأن الدين أرفع وأعلى من أن يهبط إلى مستوى الحياة اليومية؛ لأن له قداسته ورفعته ومكانته، وأن نؤمن جميعًا بتداول السلطة وأنها لا يجب أن تظل أبدًا في يد واحدة، من هذه المنطلقات

وهي عناصر في الفكر السياسي الحديث لمنطوق الديمقراطية كل من يسلم بها يعتبر قوى فاعلة على المسرح السياسي.

معنى هذا أن بعض القوى السياسية ستكون معزولة عن المشاركة في الحوار القومي المطلوب.

بالطبع كل من يسلك طريق العنف لا وجود له على الساحة السياسية لأنه لا يعمل سياسة، وإنما موضوعات أخرى، من يعمل في الظلام لا يمكن أن تدعوه لأن يعمل في النور.

حتى لو غلف دعوته بشعارات ديمقراطية!

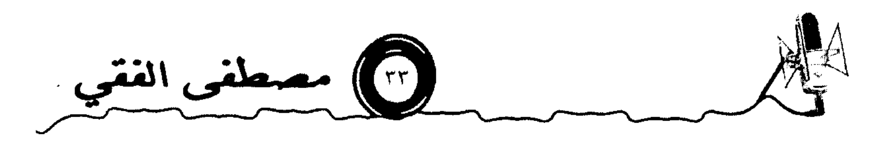
بالتأكيد، ولدينا تجارب كثيرة، إذا كنت تريد أن تستخدم الديمقراطية مجرد سلّم للوصول إلى السلطة ثم تركل السلّم فلا أحد يصعد بعدك ولا أنت تنزل، فهذه أبدية مرفوضة في كل زمان ومكان. وهي تتنافى مع الفكرة الديمقراطية أساسًا.

الهوية المصرية

أعتقد من توجهاتك أو اهتماماتك الرئيسية على مدى عمرك فيما يخص قضية الهوية – خاصة وأننا في مفترق الطرق الحضارية التي أشرت إليه في مقدمة هذا الحوار -أنها قضية مطروحة كالبوصلة في مفترق الطرق الحضارية، فما شهادتك على ذلك؟

في الحقيقة، مصر خاصة تكاد تكون ذات طابع فريد فيما يتّصل بهويتها؛ لأن فيها درجة من التعددية التي لم تتحقق في بلد آخر في حدود ما أعلم.. إذا أردت أن تقول: «مصر بلد عربي» فهذا سليم، «بلد مسلم» فهذا له أولوية لا خلاف عليه، «بلد أفريقي» الجغرافيا تؤكّد ذلك، «بلد بحر متوسّطي بثقافتنا وتاريخنا الحضاري وأنه مرتبط كجزء من الحضارات المطلّة على هذا البحر، بلد يُشارك بانتماءاته الفعّالة في حركة السياسة العالمية» هذا أمر معروف. رأينا ذلك عندما عملنا في الأعمال الخاصة بعصبة الأمم[٦]

(٦) **عصبة الأمم**: منظمة دولية تم تأسيسها بعد الحرب العالمية الأولى والهدف من إنشائها هو التقليل من عملية التسلّح العالمية وفكّ النزاعات قبل أن تتطور لتصبح نزاعًا مسلّحًا كما حدث في الحرب العالمية الأولى. وأثبتت المؤسسة فشلها في مواجهة القوى الناشية في العالم



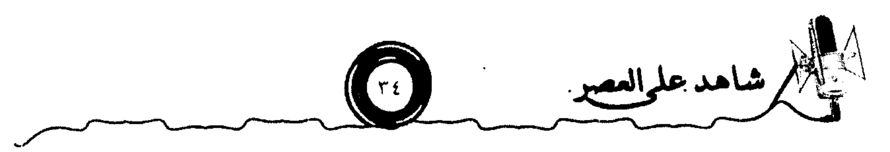
وبالأمم المتحدة وبالجامعة العربية[٧] ومنظمة الوحدة الأفريقية[٨].. مصر دولة مؤسسة لحركة عدم الانحياز، دولة لا يمكن تجاهلها.. من يتكلمون عن تهميش مصر أنا أتعجب من قولهم هذا لسبب بسيط وهو أن مكانة مصر ليست مرتبطة بفترة معينة؛ لتعاقب الحضارات فيها وامتزاج الثقافات، المسألة لا يمكن أن تأتي بين يومٍ وليلة. فليس من مقدرة أحد أن يشتري التاريخ، الأهرامات[٩]،

ومنعها وقوع الحرب العالمية الثانية مما تطلّب استبدالها بهيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية.

[٧] **جامعة الدول العربية**: هي منظّمة تضم دولًا في الشرق الأوسط وأفريقيا ويعتبر أعضاؤها دولًا عربية، ينص ميثاقها على التنسيق بين الدول الأعضاء في الشؤون الاقتصادية، ومن ضمنها العلاقات التجارية، الاتصالات، العلاقات الثقافية، الجنسيات ووثائق وأذونات السفر والعلاقات الاجتماعية والصحة. المقر الدائم لجامعة الدول العربية يقع في القاهرة، عاصمة مصر. وأمينها العام الحاليّ هو عمرو موسى. المجموع الكلي لمساحة الدول الأعضاء في المنظمة ١٣،٩٥٣،٠٤١ كم^2، وتشير إحصاءات ٢٠٠٧ إلى وجود ٣٣٩،٥١٠،٥٣٥ نسمة فيها، حيث إنّ مجموع مساحة الوطن العربي يجعل مجموعها الثاني عالميًا بعد روسيا ومجموع سكانها هو الرابع عالميًا بعد الصين، الهند والاتّحاد الأوروبي.

[٨] **منظمة الوحدة الأفريقية**: هيئة دولية تضم ٥٢ بلدًا أفريقيًا. وتعمل على تعزيز الوحدة بين الشعوب الأفريقية، وتقوية الروابط الثقافية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والاجتماعية فيما بينها. كما تُساعد المنظمة الدول الأعضاء التي تُبتلى بالكوارث الطبيعية.

[٩] **أهرامات مصر**: هي الأهرامات التي قام قدماء المصريين ببنائها. أشهرها أهرامات الجيزة.



النيـل أو العقـاد(١٠)، طـه حـسين(١١)، نجيـب محفـوظ(١٢)، توفيـق الحكيم(١٣).. فهـي قيمـة راسـخة، وكثيرًا مـا تحدَّث الآخـرون عـن

---

(١٠) **عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤)**: أديب ومفكّر وصحفي وشاعر مصري. ولد العقاد في أسوان في ٢٩ شوال ١٣٠٦ هـ - ٢٨ يونيو ١٨٨٩، لأم من أصول كردية. ومن ذرية الصحابي خالد بن الوليد الذين سكنو كردستان العراق. وجدّه لأمه هو محمد أغا الشريف ويعزى نسبه إلى النبي محمد ص في بعض المراجع بينما يعزوه أحد المراجع إلى العباس بن عبد المطلب. وتخرّج من المدرسة الإبتدائية سنة ١٩٠٣.

(١١) **طه حسين (ولد ١٨٨٩ - توفي ١٩٧٣)**: أديب وناقد مصري كبير، لُقّب بعميد الأدب العربي. غيّر الرواية العربية، خالق السيرة الذاتيّة مع كتابه «الأيام» الذي نشر عام ١٩٢٩. يعتبر من أبرز الشخصيات في الحركة العربية الأدبية الحديثة.

(١٢) **نجيب محفوظ**: روائي مصري حائز على جائزة نوبل في الأدب. وُلد في ١١ ديسمبر ١٩١١، وتوفي في ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦. كتب نجيب محفوظ منذ بداية الأربعينيات واستمر حتى ٢٠٠٤. تدور أحداث جميع رواياته في مصر، وتظهر فيها سمة متكررة هي الحارة التي تعادل العالم. من أشهر أعماله الثلاثية وأولاد حارتنا التي مُنعت من النشر في مصر منذ صدورها وحتى وقتٍ قريب. بينما يُصنف أدب محفوظ باعتباره أدبًا واقعيًا، فإن مواضيع وجودية تظهر فيه. نجيب محفوظ أكثر أديب عربي حُوّلت أعماله إلى السينما والتلفزيون.

(١٣) **توفيق الحكيم (٩ أكتوبر ١٨٩٨ - ٢٦ يوليو ١٩٨٧)**: وُلد في الإسكندرية وتوفي في القاهرة. كاتب وأديب مصري، من رواد الرواية والكتابة المسرحية العربية ومن الأسماء البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث، كانت للطريقة التي استقبل بها الشارع الأدبي العربي نتاجاته الفنية بين اعتباره نجاحًا عظيمًا تارةً وإخفاقًا كبيرًا تارةً أخرى الأثرَ الأعظم على تبلور خصوصية تأثير أدب وفكر الحكيم على أجيال متعاقبة من الأدباء، كانت مسرحيته المشهورة أهل الكهف في عام ١٩٣٣ حدثًا هامًّا في الدراما العربية؛ فقد كانت تلك المسرحية بداية لنشوء تيار مسرحي عُرف بالمسرح الذهني. بالرغم من الإنتاج الغزير للحكيم فإنه لم يكتب إلا عددًا قليلًا من المسرحيات التي يمكن تمثيلها على خشبة المسرح فمعظم مسرحياته من النوع الذي كُتب ليُقرأ فيكتشف القارئ من خلاله عالمًا من الدلائل

حقب مختلفة في المنطقة يقولون: «مصر تترك الزعامة». مصر غُيّبت شكلًا عن العالم العربي لعقد كامل من الزمان منذ ١٩٧٩ تاريخ توقيع اتفاقية السلام[١٤] إلى ٨٩ تقريبًا.. هل ظهر بديل؟ هذا يذكّرني بالضبط بالمرحوم عبد الحليم حافظ[١٥] كان يُقال: «إن وجوده يقمع وجود الفنانين الآخرين» وقد غاب عبد الحليم لقرابة عشرين عامًا ولم يحتلّ مكانه فنان آخر وأنا في نفس الوقت لا أقلل من قيمة الموجودين حاليًا.

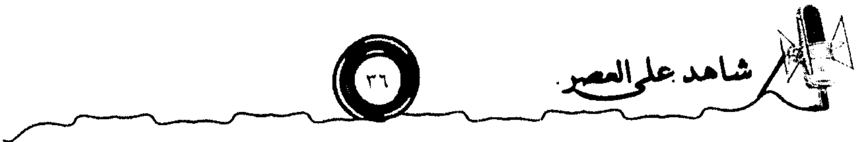
هذه حقيقة.

ولكن هذا كله كان بفعل الموهبة في الجانب الأول مما أعطاها خصوصية تفوق الآخرين

والرموز التي يمكن إسقاطها على الواقع في سهولة لتسهم في تقديم رؤية نقدية للحياة والمجتمع تتسم بقدر كبير من العمق والوعي.

[١٤] **اتفاقية السلام أو اتفاقية كامب ديفيد:** عبارة عن اتفاقية تم التوقيع عليها في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨م بين الرئيس المصري محمد أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل الراحل مناحيم بيغن بعد ١٢ يومًا من المفاوضات في المنتجع الرئاسي كامب ديفيد في ولاية ميريلاند القريب من عاصمة الولايات المتحدة واشنطن.

[١٥] **عبد الحليم حافظ (٢١ يونيو ١٩٢٩ - ٣٠ مارس ١٩٧٧)**: مطرب مصري، اسمه الحقيقي عبد الحليم على شبانة. وُلِد في مدينة الحلوات، محافظة الشرقية القريبة من محافظة القليوبية ويوجد بها السرايا الخاصّة به ويوجد بها الآن بعض المتعلقات الخاصة به.



(●) أحيانًا تكون للموهبة خصوصية وأيضًا الهوية لها خصوصية. بعض الدول لها خصوصية ومصر من تلك الدول ذات الخصوصية في التكوين والشخصية.

إذن فسيادتك تختلف مع الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل[١٦] في تقسيمه للحقب التاريخية؛ الحقبة المصرية والحقبة السعودية...

(●) الأستاذ محمد حسنين هيكل أستاذنا جميعًا وأنا شخصيًا أعتز بقدراته الفكرية جدًّا والسياسية، إنما أعتقد أن قصده في تلك التحديدات أن الحقبة التي تبدو فيها الغلبة لسياسة تلك الدولة.. إنما ليس معناها تهميش دور مصر، تظل مصر هي العملاق إنما هناك دول تطفو على السطح ثم تختفي.. فلها مراحل مؤقتة ولذلك سمّاها حقب؛ حقبة تظهر في وقت معين ثم تختفي، إنما تظل مصر هي الدولة المحورية المركزية العريقة ذات التأثير صاحب السلعة

---

[١٦] **محمد حسنين هيكل:** أبرز الصحفيين العرب والمصريين في القرن العشرين. وربما يكون من الصحفيين العرب القلائل الذين شهدوا وشاركوا في صياغة السياسة العربية، خصوصًا في مصر.

التي لا ينافسها فيها أحد وهي السلعة الثقافية. يجب ألّا يغيب عن وجدانا أن هذا أغلى ما نملك؛ لأن الثقافة مرادف للحضارة وهي أغلى ما لديك.

المأزق العربي المعاصر والطغيان الإقليمي

إذا انتقلنا إلى المشهد العربي، ويبدو أنني سأعود مرة أخرى للاقتباس من الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل في الندوة التي قمت سيادتك بإدارتها في صالون إحسان عبد القدوس[١٧] حيث قال: لقد وصل الحال إلى أن الطرف العربي يعتذر الآن عن قوميّته العربية لأنها عنصرية، في حين تضغط اسرائيل على الأمم المتحدة فترفع قرارًا يُدين الصهيونية كنوع من العنصرية. فما تعليق سيادتك؟

---

(١٧) **إحسان عبد القدوس (١ يناير ١٩١٩ - ١٢ يناير ١٩٩٠)**: كان صحفيًّا وروائيًّا مصريًّا من أصل شركسي من جهة أبويه، فهو ابن السيدة روز اليوسف اللبنانية المولد والمربى وهي مُؤسِّسة مجلة روز اليوسف ومجلة صباح الخير. أما والده محمد عبد القدوس فقد كان ممثّلًا ومؤلّفًا. ويعتبر إحسان من أوائل الروائيين العرب الذين تناولوا في قصصهم الحب البعيد عن العذرية وتحولت أغلب قصصه إلى أفلام سينمائية. ويُمثّل أدب إحسان عبد القدوس نقلة نوعية متميزه في الرواية العربية، إذ نجح في الخروج من المحلّية إلى حيز العالمية وترجمت

(●) محاضرة الأستاذ هيكل التي كان لي شرف تقديمه فيها في صالون الكاتب الراحل إحسان عبد القدوس كانت من الأحداث الثقافية الهامة؛ لأن القاعة كانت تسع ٢٠٠ فأتى الآلاف باسم هيكل، تعرّض فيها -وهي نص مكتوب كدأبه دائمًا في الدقة- لما نسمّيه المأزق العربي أو حالة التردّي التي نشعر بها جميعًا، خصوصًا بعد حرب الخليج الثانية والتمزّق الذي نعيشه والذي نُعبّر عنه دائمًا بالمأزق العربي.. هناك إحساس الآن لم يكن قائمًا من قبل وهو إمكان وجود طغيان للإقليمية على القومية. هذه الدول تفكّر فرادى وترى أنها عضو بما يسمى بمجموعة جغرافية للشرق الأوسط وتضعف الانتماءات العربية. أنا في كتابي الأخير «تجديد الفكر القومي» أأمل أن لا يحدث ذلك وفي رأيي كمصري أن تظل الورقة القومية في يد مصر؛ لأن هذا ميزة لها في المستقبل... عندما تتكلم عن تركيا أو إيران أو إسرائيل أو مصر فتلك قوى أربعة مرشّحة لكي تقود المحاور الرئيسية في شرق أوسط جديد.. تجد أن الميزة الوحيدة التي تنفرد بها مصر بينهم وهي ميزة ضخمة تجعلها

تفوّق عليهم.. أنها دولة محورية تقود حولها أو هي المركز لـ٢٢ دولة أخرى في المنطقة أو خارج المنطقة. إذن يدعوني هذا إلى أن أدعوا المصريين جميعًا أن يتفهّموا معنى الورقة العربية خارج إطار الحساسيات الموروثة. هناك فرق بين أن تقول أنا أحب وأكره، خاصة في السياسة، فليس هناك تقييم أخلاقي.

لغة المصالح.

انتمائي العربي يمثل رصيدًا مصلحيًا لمصر رغم كل التضحيات، فلايتصوّر البعض أننا عندما نتكلّم عن الفكرة القومية وضرورة تجديدها فهذه عودة لأخطاء الخمسينيات أو الستينيات في هذا الجانب، بالعكس فنحن نعترف بخصوصية كل دولة ونؤمن بكل المستجدات بما فيها السلام مع إسرائيل وندعو إلى ضرورة احترام الأقليات ودورها الفاعل ونطالب بالاهتمام بالجانب الاقتصادي والثقافي وإعطائه الأولوية بعيدًا عن الشعارات، لا تكون وحدة فوقية قائمة على السيادة فقط، ندعو لحد أدنى من التضامن يسمح بتنسيق سياسي في وسط التكتُّلات

العملاقة في العالم.. فكيف يكون بجوارك هذا البحر المتجانس وتتجاهله، بينما قوى أخرى لا يوجد لديها ذلك التجانس. لقد عشت في الهند أربع سنوات كدبلوماسي فرأيت الاختلاف البيّن؛ هناك الولايات مختلفة في اللغات والديانات والثقافات والجوانب الجغرافية والاقتصادية والحضارية ومع ذلك تحت مظلة الدولة المركزية الهندية الواحدة، شبه قارة.. وفقًا لنظرية الضرورة وكأنما من قلة ما لديهم من الوحدة اتحدوا ونحن من فرط ما لديها من مقوماتها نفرّط فيها ونتركها.

هذه رؤية مفاجأة وثاقبة ولعله تفسير صحيح تاريخيًا وفلسفيًا، في نفس القضية يقول الدكتور محمد السيد سعيد[١٨] الخبير

---

(١٨) **محمد السيد سعيد:** كاتب ومحلل سياسي مصري، وُلد في بورسعيد في ٢٨ يونيو ١٩٥٠. درس في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وشارك في مظاهرات الطلاب في ١٩٦٨، وتخرّج سنة ١٩٧٣ فأدّى الخدمة العسكرية وشارك في حرب ١٩٧٣ وبعد أن أتم خدمته العسكرية في ١٩٧٥ التحق بمركز الأهرام للدرسات الاستراتيجية.
أُعتقل لمدة شهر سنة ١٩٨٩ بسبب توقيعه على بيان حقوقي يدين اقتحام قوات الأمن مصنع الحديد والصلب وإطلاق النار على العاملين فيه. يوصف السعيد عادة بأنه يساري الفكر، إلا أنه يصف نفسه بأنه «ليبرالي بين اليساريين، ويساري بين الليبراليين».
شغل منصب رئيس تحرير صحيفة البديل منذ صدورها في ٢٠٠٧ إلى أن استقال منه في أكتوبر ٢٠٠٨.

بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام: «إن النظام العربي ما كاد يلتقط أنفاسه لمحاولة التكيُّف مع الأوضاع الجديدة التي فرضها النظام العالمي الجديد حتى عاجلته أزمة الخليج بضربة شديدة طرحته أرضًا من جديد، وأصبح عليه أن يعيش مواجهة منفردة مع القوة المهيمنة على المنظومة الدولية حول قائمة من الخلافات التاريخية».. لست أدري كيف ستكون مناقشة الأستاذ الدكتور مصطفى الفقي لهذه المقولة.. فهل نحن مطالبون بجدول أعمال للخروج من دائرة الخلاف؟

(●) كلام الأخ الدكتور محمد السيد سعيد أنا متفق معه تمامًا، وبحكم عملي السابق كنت أشعر في حوالي سنة ٩٠بانبثاق الأمل لنشوء فترة شهدت عودة العرب إلى مصر؛ شهدت عودة الجامعة العربية إلى مقرها الأصلي وفقًا للميثاق، شهدت تطوّرات إيجابية على الساحة العربية، وكان الرئيس مبارك يقوم بدور أساسي في المُصالحة العربية.. فلم يكن أمامه سوى سوريا والعراق وحاول ذلك في مؤتمر مايو عام ١٩٩٠ الذي سبق بشهور قليلة غزو

توفي في القاهرة في ١٠ أكتوبر ٢٠٠٩ بعد صراع مع المرض.

العراق للكويت[١٩]، فالحقيقة كنا نشعر أنها ضربة قاسمة للتضامن العربي ومقصودة وربما كانت مستهدفة التوقيت؛ كان توقيتًا خبيثًا أدى إلى ضرب التضامن العربي في مقتل مع بداية انتعاش مجالس التعاون كنواة لمجالس أكبر. العلاقات بين الدول العربية كانت تبدو نسبيًا أفضل من أي وقت مضى.. فإذا بهذه الضربة تبعثر الجهود وتُشتت التضامن وتعيدنا إلى المربع رقم ١ من جديد.. فالحقيقة هذا الكلام كلام سليم تمامًا، لكن كيف نستعيد هذا التضامن المفقود؟ المسألة تحتاج إلى شجاعة وإلى اتفاق وسط الخلافات وإلى تجريد المصلحة العربية العليا فوق كل المصالح. هناك حساسيات من الصعب تجاوزها وتحتاج إلى وقت لتلتئم الجراح.

---

[١٩] **الغزو العراقي للكويت** أو (الحرب العراقية – الكويتية): هي حرب بين العراق والكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠ استمرت يومان انتهت باستيلاء القوات العراقية على الكويت في ٤ أغسطس واحتلال الكويت لمدة ٧ شهور وانتهت بتحرير الكويت في ٢٦ فبراير ١٩٩١ بعد حرب الخليج الثانية.

وتحتاج إلى شجاعة في المواجهة، فنحن عاطفيون جدًّا ويبدو أن هذه العاطفة تجعلنا ننسى لغة العصر، وسيادتك أشرت منذ قليل إلى أن المصلحة تغلب العلاقات الدولية الآن.

صحيح، لو أن المخطئ اعتذر ولو أن من وقع في حقه الخطأ قَبِل وتفهَّم ربما تتغير الأوضاع؛ لأن العالم لم يعد عالم العواطف.. فالمسألة تحتاج إلى استقرار أكثر، تحتاج إلى أن توكل ضمانات وأسس لعمل عربي مشترك يستمر دون أن يتأثر لا باختلاف الزعامات ولا بتغير القيادات ولا بتبادل الظروف. عندما ترى الأوربيين وفي حروب أكثر من تلك التي كانت بين فرنسا وألمانيا أو الخلافات بين بريطانيا وفرنسا تجدهم رغم هذا كله للضرورة التي تكلّمت عنها في الاتحاد الهندي انضوت هذه المجموعة الأوربية فيما نسميه الجماعة الأوربية اقتصاديًا وثقافيًا ووبرلمانيًا وسياسيًا .. إلخ. أين نحن من هذا ؟! دعنا نقبل صيغة معقولة ومتواضعة، مشكلتنا أننا نريد أن نقفز لطموح غير قابل

للتنفيذ كتجربة الوحدة المصرية في سوريا[٢٠].. تجربة في عجلة في ظل ظروف غير مستقرة فانهارت.

الازدواج في الشخصية العربية

ويبدو أن الرؤساء والزعماء العرب لكي لا تشعر الشعوب بخلافاتهم فيجعلون الصورة أمام الجماهير صورة ورديّة مُشرقة، ربما يلتقون بالأحضان وبالقبلات وقد تكون هناك خلافات وخلافات كبيرة وجذرية لا نعلمها، سنفاجأ بفداحة هذه الخلافات بعد ذلك.

أنت تتكلم عن نقطة مهمّة جدًّا وهي حالة الازدواج في الشخصية العربية؛ نتكلم غير ما نفعل ونفعل خلاف ما نتحدث،

---

(٢٠) **الجمهورية العربية المتحدة**: هو الاسم الرسمي للوحدة بين مصر وسوريا والتي كانت بداية لتوحيد الدول العربية التي كانت إحدى أحلام الرئيس جمال عبد الناصر. أعلنت الوحدة في ٢٢ فبراير / شباط ١٩٥٨ بتوقيع ميثاق الجمهورية المتحدة من قبل الرئيسين السوري شكري القوتلي والمصري جمال عبد الناصر. اختير عبد الناصر رئيسًا والقاهرة عاصمة للجمهورية الجديدة. وفي عام ١٩٦٠ تم توحيد برلماني البلدين في مجلس الأمة بالقاهرة وألغيت الوزارات الإقليمية لصالح وزارة موحدة في القاهرة أيضًا. أنهيت الوحدة بانقلاب عسكري في دمشق يوم ٢٨ سبتمبر / أيلول ١٩٦١، وأعلنت سوريا عن قيام الجمهورية العربية السورية، بينما احتفظت مصر باسم الجمهورية العربية المتحدة حتى عام ١٩٧١، عندما سميت باسمها الحالي جمهورية مصر العربية.

ولذلك توجد عند العرب الظاهرة الصوتية وأنهم عندما يتقابلون تبقى عندهم عواطف صادقة، لا أقول أنها مدعاة إنما كل المشاعر موسمية وكل المواقف مؤقتة والكل يفضل أن تمر المسائل من حيث الشكل مقبولة، بينما قد لا تكون كذلك من حيث المضمون. لو آمنا بلغة واحدة وهي السر كالعلن ونؤمن بما نفعله وصارحنا الجماهير بالحقائق على كل المستويات العربية سوف يختلف الأمر تمامًا.

وسلوك السيد الرئيس محمد حسني مبارك هو تطبيق لهذا المنطلق التي نركّز عليه الآن، وهو بالفعل حريص على ألا يكون هناك وجهان وأن يبقى الكلام أو رصيد الكلام يساوي رصيد الفعل.

لم ينجح الرئيس مبارك في ما نجح فيه من خطوات الإصلاح الاقتصادي إلا بهذه الطريقة، وتوقّفه تمامًا عن إعطاء الوعود الوردية وعن الحلول المؤقتة وبدلًا من الالتصاق حول المشكلة اقتحمها، وصارح الناس بوضوح بطبيعة المشكلات ولذلك تقبّلت الناس في مصر ارتفاعات معينة في الأسعار وأيقن

الناس أنه لا علاج آخر إلا هذا وأن ما يحدث هو بديل لإمكانية انهيار اقتصادي.. ولذلك رغب الجميع في الإصلاح وساندوا الدولة في سياستها الاقتصادية وهذا ما حدث في ظل الحكومة الحالية.

هكذا نطمع من سيادتك أن أنتقل إلى السؤال التالي وهي تجربتك الثَّرية في العمل إلى جانب الرئيس مبارك كسكرتير للمعلومات، بما أتاح لك أن توثق علاقة وثيقة ورؤية تستطيع أن تخصص لها جزءًا من شهادتك الثرية.

لا أدرى إن كان من حقي أن أتحدّث في هذه الموضوعات أم لا، لكن على الأقل كمواطن فالعمل إلى جانب الرئيس يعطي خبرات ضخمة. اليوم بثلاثة أيام أو أربعة؛ لأن الرئيس يعمل كثيرًا؛ في الصباح اجتماعات وفي الظهر محادثات تليفونية واتصالات وبالليل مواصلة العملية. الحقيقة قاتلة؛ إنني أتعجّب كيف استطعت أن أواصل قرابة ثماني سنوات في مثل هذا العمل.. فما بالك بالرئيس، تكفي رحلاته وسفرياته والعذابات الحقيقية

الموجودة فيها. أكون في غاية حمل الهم والحيرة وقتما يكون في سفرية ما، ليس فقط لأنني لا أحبذ الطيران، لكن لأنني أعلم أن الرحلة قد تكون يومين وفيها ثلاث أو أربع دول، كمثل ما حدث مرة في الأسبوع أن زار سبع دول تقريبًا لأنه لا يريد أن يغيب كثيرًا ليوظّف كل دقيقة في المصلحة العامّة.. فتلك مسألة مرهقة للغاية، إنما في دائرة صنع القرار تشعر دائمًا بمسؤولية كبيرة ووقتها كنت أشعر بفكرة لا تنتبه الناس إليها وهي فكرة انتخاب الرئيس.

كيف؟

كنت أشعر أننا جميعًا موظّفون من أول رئيس الوزراء إلى ما دونه؛ لأن كل هؤلاء يأتون بالتعيين إلا شخصًا واحدًا يختاره الشعب. هذا الاختيار نفسه يعطيه مصداقية ويضع على كاهله مسؤولية تجعله في موقف صعب للغاية؛ لأن ما يُقرِّره سوف يُسأل عنه الآخرون ومن الممكن أن يتنصلوا من المسؤولية في أي وقت.. فمن هنا تبدو فكرة انتخاب الرئيس فكرة هامة للغاية، ولذلك إخبار عن المشاركة كما حدث آخر مرة، أرجو أن يكون نقلة نوعية

في تاريخ التفكير المصري تجاه اختيار رئيسه أو قائده. بالطبع التجربة هناك تجربة ثرية نتلعم منها أن ليس كل ما تراه يجب أن تعرفه وليس كل ما يُسمع يُقال. وهناك الممكن وغير الممكن وهناك ما يرجئ وهناك ما يقدّم السياسة.. بحر واسع في جانبها العملي ما يكتب وما يُقال في الجزء النظري يختلف تمامًا عن أن تكون في المطبخ نفسه.. عملية شاقة وصعبة ومرهقة.

وأيضًا السياسة بحر لا قرار له، وليس فيها أمان .

وأيضًا لا يمكن أن تضع توقعات ١٠٠٪ لأن هذا جزء من العلوم الاجتماعية التي لا يوجد فيها أبيض أو أسود، إنما فيها درجات من الألوان المختلفة فيما بينها.

وماذا أيضًا فيما يخصّ علاقة السيد الرئيس بمساعديه؟

بالطبع هي علاقة قريبة جدًّا، فالجانب الإنساني فيه جانب كبير جدًّا؛ فهو شديد البساطة.. أعتقد أن هو غير معني تمامًا بفخامة المقعد فهو يتصرف بواقعية شديدة، لا يحب أن يحاط بهالة معينة، لا يُفضّل كثيرًا أن يسمع المديح، يتصرف بواقعية وتلقائية

شديدة وببساطة ملفتة، كأنما رجل أُختير لكي يتولى هذا المنصب من بين الجماهير.

نعم، تلك هي الواقعية التي تجعله أحيانًا يتخذ قرارًا قد يكون غير متفق مع رغباته الشخصية أو عاطفته تجاه أحد مساعديه. المهم أن الحكم في هذه الأمور كلِّها هي المصلحة العامة.

صحيح، أنا لاحظت هذا وأعتقد أن عنده فصل بين الجانب الموضوعي والشخصي، لديه قدرات هائلة يعرفها كل الذين عرفوا طريقه.

أنني أشعر حيال مسؤولية بالعودة لقضية الهوية والكثير وصفوا سيادتك بتركيزك على قضية الهوية وتحدثت عن هوية مصر في المنطقة، لو تتفضل سيادتك بالحديث عن الهوية بمعنى الشخصية المصرية ومواصفاتها والإنسان المصري المعاصر..

بالطبع، هناك كتابات كثيرة أسهمت في التعرض للشخصية المصرية وشرحها، ومن أهمها كما هو معروف كتابات

الجغرافي المفكر الراحل جمال حمدان[٢١]. فجغرافيا مصر قد انعكست على طبيعة شخصية شعبها.. ليس هكذا فقط، لكن تاريخها أيضًا محصلة لبُعدي الزمان والمكان.. المحور الرأسي هو الزمان والمحور الأفقي هو الجغرافيا أو المكان، فتجد أننا شعب متجانس إلى حدٍّ كبير. ليس لدينا قبلية من أي نوع، طوال عمرنا لم نشعر أن عبد الناصر كان من الصعيد والسادات من الدلتا أو من المنوفية، على الإطلاق..ليست قضية قائمة.

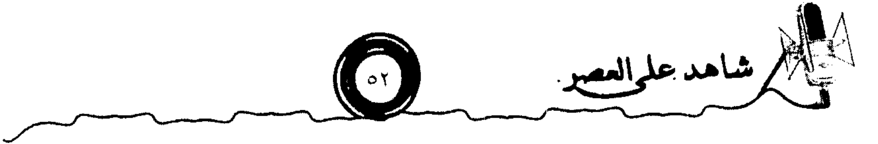
وحدثت تحفّظات أخرى..

تحفّظات عامة من الجانبين على حجات معينة، لكنها أبدًا ما كانت محكومة بالقبلية ولا بموقع جغرافي، حتى الإسلام العظيم

---

(٢١) **جمال حمدان (٤ فبراير ١٩٢٨م – ١٧ أبريل ١٩٩٣م)**: أحد أعلام الجغرافيا المصريين، كان جمال حمدان صاحب السبق في فضح أكذوبة ان اليهود الحاليين هم أحفاد بني إسرائيل الذين خرجوا من فلسطين خلال حقب ما قبل الميلاد، وأثبت في كتابه «اليهود أنثروبولوجيًا» الصادر في عام ١٩٦٧، بالأدلة العملية أن اليهود المعاصرين الذين يدعون أنهم ينتمون إلى فلسطين ليسوا هم أحفاد اليهود الذين خرجوا من فلسطين قبل الميلاد، وإنما ينتمي هؤلاء إلى إمبراطورية «الخزر التترية» التي قامت بين «بحر قزوين» و «البحر الأسود»، واعتنقت اليهودية في القرن الثامن الميلادي، قام الموساد الإسرائيلي باغتياله في ١٩٩٣م.

يبدو توقير الناس له ومكانته في مصر أكثر من بلد آخر.. هذه الشخصية المصرية، ليس لدينا فرق دينية ولا جماعات ذات تاريخ لتقسيم الإسلام في مصر. أنت تذكر الدولة الفاطمية نفسها كانت دولة شيعية وبنت الأزهر كقلعة للمذهب الشيعي ومنذ سقوط الدولة الفاطمية عاد المسلمون جميعًا إلى بحر السُّنّة، أنا لست ضد الشيعة، فكلها مذاهب إسلامية ووجهات نظر في الفقه والتشريع الإسلامي إنما على الأقل مصر دائمًا كانت مع منطق الوحدة والوسطية والانسجام العام ففيها انصهار سكاني وفيها عمق ديني وفيها إحساس حضاري. تجد أيضًا أن المصريين عندهم تاريخيًا - نتيجة أن الأرض منبسطة وسهلة- نوع من الدعة والسلام، العنف ظاهرة دخيلة على الشخصية المصرية.



الشخصية المصرية بأبعادها العالمية والكونية

تذكرني بكلمات الراحل الكبير يحيى حقي[٢٢] عن البعد الجغرافي في الشخصية المصرية، كان يقول أنه أكثر انسجامًا في العالم عند الإحساس الجغرافي. شيء غريب عندما تجلس معه فيحدد الجهات الأصلية بطريقة غريبة؛ يقول لك: قبلي وبحري، أعتقد أن هذه ظاهرة مصريّة بحتة.

لأن حدود مصر كما تعرف محكومة بحواجز طبيعية لم تخلق نوعًا من العزلة، إنما خلقت نوعًا من الخصوصية؛ عندك بحر أحمر في الشرق، بحر أبيض في الشمال، صحراء واسعة في الغرب ثم

---

[٢٢] **يحيى حقي (٧ يناير ١٩٠٥ – ٩ ديسمبر ١٩٩٢)**: كاتب روائي مصري، صاحب رواية «قنديل أم هاشم». ولد يحي حقي في يوم السبت الموافق ٧ يناير سنة ١٩٠٥ م، لأسرة تركية مسلمة متوسطة الحال؛ غنية بثقافتها ومعارفها، تلقى يحيى حقي تعليمه الأوليّ في كُتّاب «السيدة زينب»، التحق بالمدرسة السيوفية، ثم المدرسة الإلهامية الثانوية بنباقادان، وقد مكث بها سنتين حتى نال شهادة الكفاءة، ثم التحق عام ١٩٢٠م بالمدرسة السعيدية — وكان يسكن حينئذ مع أسرته في شارع محمد على — عامًا واحدًا، انتقل بعده إلى المدرسة «الخديوية» التي حصل منها على شهادة (البكالوريا)، ولما كان ترتيبه الأربعين من بين الخمسين الأوائل على مجموع المتقدمين في القطر كله، فقد التحق في أكتوبر ١٩٢١م بمدرسة الحقوق السلطانية العليا في جامعة فؤاد الأول.

المناطق الموجودة في الجنوب..فملاحظة الكاتب الراحل يحيى حقي جيدة.

لأنه كونيّ.

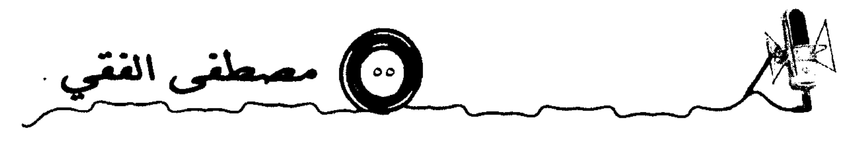
نعم، إنسان كوني، كأنه يشعر أنه مخلوق ينتمي إلى الجنس البشري ككل ولذلك المصري لا يخضع لتجربة عنصرية أو لمشاعر ذاتية. يدفعني هذا إلى أن أقول شيئًا لم أكن أحب قوله: «إحساسنا بفكرة القومية العربية أقل من الشعوب العربية الأخرى نتيجة أن إحساسنا بالانتماء بالعالمية»، حتى موقفنا في حرب الخليج كان ترجمة لمسؤولية مصر الدولية أكثر منه ترجمة لانتماءات مصر القومية هناك أناس كثيرون لا ينتبهون من تلك القضية، أننا جزء من مجتمع دولي ومسؤول ولست كغيري ممن يخرجون على إطار الشرعية الدولية أو المسؤولية العالمية؛ لأن تاريخي يحاسبني، ووضعي، وموقعي، وظروفي مختلفة.. كالأخ الأكبر الذي تحاسبه بمعيار أشد وتضعه تحت التقييم الأكبر .

فلا يفكر في المصالح الضيقة لأخواته فقط، إنما يفكر في الجيران، في الشارع، في المجتمع الخارجي.

ولذلك فنحن أسرع دولة متفهمة للمتغيرات الإقليمية والدولية، اتجهنا إلى السلام قبل العالم العربي بـ ١٥ سنة تقريبًا؛ لأن الرئيس السادات وعى المتغيرات الدولية وآمن بها وتفهّمها وحاول أن يستخدمها.

هذا يجعلنا نقول أن الإنسان المصري هو أكثر الناس ملاءمة لظروف وتغيرات ومستجدات العصر التي تتطلب عالمية إنسان العصر.

تعقيبًا لهذا، فالإنسان المصري عندما ذهب يتجانس ويندمج بسرعة تفوق؛ لأنه مرتبط بفكرة العالمية.. العالمية عنده لها غلبة يشعر أنه جزء من الكون قبل أن يكون جزءًا من قوم.



طمث ذاكرة الأمة

لدينا اقتباس من المؤرِّخ المعاصر الدكتور يونان لبيب رزق(٢٣) من دراسته الـمُعَنْوَنة بـ«مصر المدنية» يقول: «إن عملية طمث ذاكرة الأمة تشكّل أكبر جوانب الأزمة الراهنة، التي يُعاني منها المصريون، خاصة جيل الشباب، وقد بدأت هذه العملية في أعقاب حرب أكتوبر نتيجة للصراعات السياسية بين الرئيس الراحل أنور السادات وبين خصومه السياسيين، وبخاصة الناصريين، فاستعان السادات بأبناء التيار الديني، وعاد الوفد إلى الحياة السياسية، وبدلًا من إحياء حقبة الحركة الوطنية تبارى الجميع في تحطيم كل رموز هذا التاريخ، وتم حذف مرحلة من تاريخ مصر»، والآن، هل يتّفق الدكتور مصطفى الفقي مع هذا التحليل في طمث ذاكرة الأمة؟

---

(٢٣) **يونان لبيب رزق، (٢٧ أكتوبر ١٩٣٣– ١٥ يناير ٢٠٠٨)**: مؤرخ مصري معاصر، رأس قسم التاريخ الحديث في كلية الآداب بجامعة عين شمس، له صفحة خاصة في جريدة الأهرام بعنوان الأهرام ديوان الحياة المعاصرة وله العديد من المؤلفات والكتب، كما أنه عضو لجنة التاريخ بالمجلس الأعلى للثقافة، وعضو مجلس الشوري، والمجلس الأعلى للصحافة.

((●)) إن ما يتصل بـ"توصيف موقف الرئيس الراحل أنور السادات من الناصريين واليساريين".. نحن رددنا هذه المقولة كثيرًا، وكأنّما جعلنا الرئيس السادات هو المسؤول الوحيد عن نموّ الجماعات الإسلامية أو التيارات المتطرِّفة.

نعم، هذا فكرٌ مطروح.

((●)) وأنا في الحقيقة أحتجّ على ذلك؛ فقد يكون هذا أحد الأسباب، ولكن التربة التاريخية والسياسية في مصر هي التي مهّدت لذلك، ونحن لدينا موجات عنفٍ معروفة على سير هذا القرن، وللتيارات السلفيّة وجودٌ في ذاكرة الأمة المصرية، بل والأمة الإسلامية بشكلٍ عام منذ ١٩١٠. فمصرع بطرس غالي[٢٤] كان

---

[٢٤] **بطرس باشا نيروز غالي (١٨٤٦ - ٢٠ فبراير ١٩١٠)**: رئيس وزراء مصر من ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ إلى ١٩١٠. تولى رئاسة الوزراء في فترة عصيبة هي فترة الاحتلال البريطي. قام بعدة أدوار أدت إلى اغتياله على يد شاب يدعى إبراهيم ناصف الورداني؛ منها أنه رئس محكمة دنشواي بالنيابة، وقام بإعادة إصدار قانون المطبوعات الذي قيد حرية الصحافة، وأصدر قانون النفي الإداري، ووافق علي مشروع مد امتياز قناة السويس، كان اغتياله في ١٩١٠م.

حادثًا ضعيفًا، لكن على الأقل لدينا كتابات محمد رشيد رضا[٢٥]، التلميذ المباشر لمحمد عبده[٢٦]، وتلقف عنه الإمام الشهيد حسن البنا[٢٧] في ١٩٢٨ - وأنا بالمناسبة أنتمي إلى نفس المركز الذي ينتمي إليه الشهيد، وهو المحمودية بمحافظة البحيرة.

إن ما أريد قوله، هو أنه لا يمكن أبدًا أن نُحمّل الرئيس السادات تَبِعة كلّ التطورات التي حدثت؛ لأن ما حدث في مصر وما فعله الرئيس السادات،حدث أكثر منه في مناطق مجاورة كالجزائر.. إذن فالأمر آنذاك كان ظاهرة عامة وإشكالية في العالم

---

(٢٥) **محمد رشيد بن علي رضا**: ولد ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٢ هـ/٢٣ سبتمبر ١٨٦٥ في قرية "القلمون (لبنان)"، وهي قرية تقع على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان وتبعد عن طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال، وتوفي بمصر في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ/٢٢ أغسطس ١٩٣٥م.

(٢٦) **الشيخ محمد عبده**: يعتبر من أبرز المجدِّدين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، التحق في بدايته بالجامع الأزهر وشارك في الثورة العرابية، ثم نفي إلى بيروت لمدة ثلاث سنوات، وسافر بدعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني إلى باريس سنة ١٨٨٤ م، وأسس صحيفة العروة الوثقى، وفي سنة ١٨٨٥ م غادر باريس إلى بيروت، وفي ذات العام أسس جمعية سرية بذات الاسم.

(٢٧) **حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي - (١٤ أكتوبر ١٩٠٦ - ١٢ فبراير ١٩٤٩م) (١٣٢٤هـ - ١٣٦٨هـ)**: مؤسس حركة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨ والمرشد الأول للجماعة.

الإسلامي ككل، لم تكن عناك المقدرة الكافية على حلها، لقد كانت إشكالية مفتعلة بين الإسلام والعصر، إشكالية مفتعلة بين الدين والدنيا، إشكالية مفتعلة بين الجانب الروحي للدين وبين الحياة اليومية للناس.

تفسيرٌ رائع.

نحن نحتاج إلى بعض الاجتهاد في هذا، وفي رأيي، أنه من الممكن تمثيل الإسلام السياسي كحضارة وثقافة، إنما الجانب الروحي يظل له قداسته ومكانته، وهذا الفكر هو ما أحاول أن أروِّج له الآن على مستوى العالم الإسلامي كله؛ لكي تحل هذه الإشكالية وتخترق الدائرة المغلقة التي تكاد تضرب الإسلام في مقتل، بل وتعطّل حركة ونمو الدول الإسلامية والعربية. لقد شارك في الدولة الإسلامية مسلمون وغير مسلمين، وانصهرت في بوتقته كلُّ الأقلّيات.

وأنا أقول دائمًا إن بطرس غالي حين قدّم أوراق اعتماده بالمجتمع البشري ليعتلي أكبر مقعد دولي كان يقدّم نفسه باعتباره مبعوث

الحضارة العربية الإسلامية، وقال ذلك في يوم توليه، فالقضية ليست قضية مسلم وغير مسلم. على مدار أربعة عشر قرنًا من الحضارة العربية الإسلامية، التي ازدهرت وأعطت.. تواصلت مع حضارات أخرى، سواء من صقلية أو الأندلس أو الحروب الصليبية أو البحر المتوسط، يجب أن تظل هذه الحضارة العربية الإسلامية حضارة فاعلة، لا حضارة مواجهة، بل حضارة مشاركة ومتعاونة مع حضارات أخرى. فيجب أن نفكّر دائمًا في كيف ينظر إلينا الآخرون، ليس فقط لحالنا؛ لأننا لا نعيش منعزلين في عالمٍ يخصّنا فقط، ولا نستطيع أن نفرض على غيرنا أفكارنا، ولا نستطيع أن نتصوّر أننا في جزيرة منعزلة عن عالم يتحرك.

بالطبع.

والإسلام دين أخذٍ وعطاء، دين حربٍ وتفاوض، دين سياسي و..

واقعي.

واقعيٌّ جدًّا.. انظر إلى الرسول ﷺ حين دخل مكة فاتحًا، وخطب في المسلمين، وقال: «ما تظنون أني فاعل بكم» -هم بالتأكيد في حالة رعب- فقالوا: «أخٌ كريمٌ، وابن أخٍ كريم» -يتوقّعون الانتقام- فقال ﷺ لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». وانظر أيضًا إلى موقفه ﷺ عندما قال: « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه دارَه فهو آمن، ومن دخل المسجدَ فهو آمن»، يتضح لنا من هذا وجود درج من درجات النضوج السياسي والعبقرية الحقيقية، التي لا يكاد يناطحه فيها أحدٌ. أين نحن الآن من هذا الفكر الرحب والسياسية المُتَّسِعة، التي نفتقدها؟!

الحكام وطمس ذاكرة الأمة

وكان تعامله ﷺ هذا مع الكفّار، وليسوا من أبناء دينٍ سماويّ.. إذا جنّد الدكتور مصطفى الفقي الجزء الثاني من المقولة الخاصة بمسؤولية الرئيس السادات عن تنامي التيار الديني فماذا يقول فيما يتعلق بتفنيد الجزء الخاص بطمس ذاكرة الأمة وافتراض أنها بدأت بعد حرب أكتوبر؟ فأنا أتصوّر أن كل العهود كانت

تحاول طمس ذاكرة الأمة فيما يتعلق بالعهد الذي سبقها، قد يكون هذا في بداية ثورة ٢٣ يوليو أيضًا، حدثت محاولات لطمس فترة سابقة كحكم أسرة محمد علي[٢٨].

(●) بالطبع كلام سيادتك مضبوط تمامًا، وهذا تقليد فرعوني في مصر. انظر مثلًا على السد العالي[٢٩] هناك تداخل بين صور رئيسَين على نفس الموقع؛ الرئيس عبد الناصر والرئيس السادات، واضعين الصور على بعضهما البعض.

---

[٢٨] **محمد علي باشا (٤ مارس ١٧٦٩ – ٢ أغسطس ١٨٤٩)**: باني مصر الحديثة وحاكمها ما بين ١٨٠٥ – ١٨٤٨. بداية حكمه كانت مرحلة حرجة في تاريخ مصر خلال القرن التاسع عشر حيث نقلها من عصور التردي إلى أن أصبحت دولة قوية يعتد بها.

[٢٩] **سد أسوان العالي أو السدّ العالي**: هو سد مائي على نهر النيل في جنوب مصر، أُنشئ في عهد جمال عبد الناصر وساعد السوفييت في بناءه ساعد كثيرا في التحكم في تدفق المياه والتخفيف من آثار فيضان النيل. يستخدم لتوليد الكهرباء في مصر. طول السد ٣٦٠٠ متر، عرض القاعدة ٩٨٠ متر، عرض القمة ٤٠ مترا، والارتفاع ١١١ متر. حجم جسم السد ٤٣ مليون متر مكعب من إسمنت وحديد ومواد أخرى، ويمكن أن يمر خلال السد تدفق مائي يصل إلى ١١،٠٠٠ متر مكعب من الماء في الثانية الواحدة. بدأ بناء السد في عام ١٩٦٠ وقد قدرت التكلفة الإجمالية بمليار دولار شطب ثلثها من قبل الاتحاد السوفييتي.

هي تقاليد مترسِّخة لدينا، تجعلنا نفترض أن كلّ عصر يُدين العصر الذي سبقه. وأنا أعترف أن الرئيس مبارك قد انفرد عنهم في هذا؛ انفرد بالمصالحة التاريخية، وبردّ الاعتبارات لكل الزعامات.

ويحض على هذا أيضًا.

كما نرى من ذكرى سعد زغلول،[٣٠] مصطفى النحاس،[٣١] أحمد عرابي،[٣٢] مصطفى كامل،[٣٣] جمال عبد الناصر والسادات؛

---

[٣٠] **سعد زغلول (١٨٦٠ – ١٩٢٧)**: زعيم مصري، التف حوله الشعب من الإسكندرية إلى أسوان، في وقت لم تكن هناك أجهزة ووسائل اتصال أو إعلام، ومعظم الشعب أمي لا يقرأ الصحف، وقائد ثورة ١٩١٩ في مصر.

[٣١] **مصطفى محمد سالم النحاس، (١٨٧٩ – ١٩٦٥)**: من مواليد سمنود الغربية. أحد أبرز السياسيين المصريين. تولى منصب رئيس وزراء مصر في ١٩٢٨، ١٩٣٠، بين ١٩٣٦ و١٩٣٧، ومن ١٩٤٢ حتى ١٩٤٤، أخيرًا بين ١٩٥٠ و١٩٥٢. ساعد على تأسيس حزب الوفد وعمل زعيمًا له من ١٩٢٧ إلى ١٩٥٢، عندما تم حل الحزب. ساهم كذلك في تأسيس جامعة الدول العربية، وكان رئيسًا للوزراء لبضعة أشهر في ١٩٢٨ بعد الاصطدام مع الملك فؤاد بسبب رغبته في الحد من سلطات الملك.

[٣٢] **أحمد الحسيني عرابي (١ أبريل ١٨٤١ – ٢١ سبتمبر ١٩١١)**: قائد عسكري، وزعيم مصري. قاد الثورة العرابية ضد الخديوي توفيق. ووصل الي منصب ناظر الجهادية (وزارة الدفاع حاليًا).

[٣٣] **مصطفى كامل (١٨٧٤ – ١٩٠٨)**: زعيم سياسي وكاتب مصري. أسس الحزب الوطني وجريدة المؤيد. كان من المنادين بإنشاء (إعادة إنشاء) الجامعة المصرية. كان حزبه ينادي برابطة أوثق بالدولة العثمانية.

لأنك عندما تُدين بعضَ الفترات تُسْقِطُ فترةً من تاريخك - كمن ليس له في أهله خير-، هنا تساؤل يُطرح: مَن أنا كي أكون مُتعاطِفًا مع عبد الناصر وأتحامل على السادات، أو أن أكون مُتعاطِفًا مع السادات وألقي الحمل على عبد الناصر؟ فثورة ٢٣ يوليو[٣٤] -وتلك من الأشياء التي تغضبني جدًّا، رغم أنني أنتمي إليها، ومؤمن بإيجابية التغيير تمامًا- أرى أن البُعد الثقافي فيها كان ضعيفًا جدًّا، وهذا ما انعكس في إهمال القصور الملكية، كالذي رأينا حدوثه لقصر عابدين[٣٥]؛ كان جزء منه للتطعيم ضد

---

[٣٤] **ثورة يوليو**: انقلاب عسكري قام به ضبّاط جيش مصريون ضد الحكم الملكي في ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وعُرف في البداية بالحركة المباركة، ثم أطلق عليها البعض فيما بعد لفظ ثورة ٢٣ يوليو. بعد حرب ١٩٤٨ وضياع فلسطين ظهر تنظيم الضباط الأحرار في الجيش المصري، بزعامة اللواء محمد نجيب، وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قام التنظيم بانقلاب مسلّح نجح في السيطرة على الأمور، والسيطرة على المرافق الجويّة في البلاد، وأُذيع البيان الأول للثورة بصوت أنور السادات، وأجبرت الحركة الملك التنازل عن العرش لولي عهده الأمير أحمد فؤاد، ومغادرة البلاد في ٢٦ يوليو ١٩٥٢.

[٣٥] **قصر عابدين**: أشهر القصور المصرية، وشهد الكثير من الأحداث منذ العهد الملكي وحتى نشأة القاهرة الحديثة. يعد قصر عابدين تحفة تاريخية نادرة بالشكل الذي حوّله إلى متحف يعكس الفخامة التي شُيّد بها القصر والأحداث الهامة التي شهدها منذ العصر الملكي وحتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢. ويحرص الكثير من المهتمين بالمتاحف على زيارته، حيث يعد

الملاريا[٣٦]، وجزء كان للإصلاح الزراعي،.. إلخ، إلى أن استعاد وضعه الآن.. هذه مسألة مقيتة جدًّا. الثورة البلشفية[٣٧] نفسها حافظت على التراث القيصري، واحترمت القصور؛ لأن هذا التراث مِلكٌ للشعب ولا تقل لي: «إن به فخفخة، وعظمة»؛ لأن هذا يُنسبُ إلى تاريخك، جزء من تراثك. كيف تُزيل التماثيل وهي رموز لتاريخ؟! انظر مثلًا إلى البريطانيين ضد كرومويل[٣٨] وثورته

من أهم وأشهر القصور التي شيدت خلال حكم أسرة محمد علي باشا لمصر، حيث كان مقرًا للحكم من العام ١٨٧٢ حتى العام ١٩٥٢.

[٣٦] **الملاريا:** مرض يُصاب به الإنسان - دون باقي الكائنات الحية، ويُسببه طفيلي قاتل، تنقله إناث البعوض من النوع أنوفيلس Anopheles. ولم يقض على الملاريا في دول نامية كثيرة، حيث يسبب مشكلة في دول المنطقة الحارة والمعتدلة بالعالم. ولقد كانت هناك محاولات للقضاء على الملاريا عالميًا إلا أنها فشلت لمقاومة البعوض للمبيدات الحشرية ومقاومة طفيليات الملاريا للأدوية. فالملاريا توجد في ١٠٠ دولة. و٤٠٪ من سكان العالم معرضون لخطرها

[٣٧] **الثورة البلشفية:** كانت المرحلة الثانية من الثورة الروسية عام ١٩١٧، قادها البلاشفة تحت إمرة فلاديمير لينين وليون تروتسكي، بناء على أفكار كارل ماركس؛ لإقامة دولة شيوعية وإسقاط الجمهورية الديموقراطية. وتعد الثورة البلشفية أول ثورة شيوعية في القرن العشرين الميلادي.

[٣٨] **أوليفر كرومويل (٢٥ ابريل ١٥٩٩ - ٣ سبتمبر ١٦٥٨):** قائد عسكري وسياسي إنجليزي، اعتبره نقاده أحد القادة الديكتاتوريين، يُعرف بأنه هزم الملكيين في الحرب الأهلية الإنجليزية. جعل إنجلترا جمهورية وقاد كومنولث إنجلترا. وُلد في ٢٥ ابريل ١٥٩٩ وتوفي في ٣ سبتمبر ١٦٥٨.

على الملكية، ومع ذلك أطول شارع في لندن -وهو ما يبدأ من المطار عند النزول- هو كرومويل رود.. التاريخ يجب أن يؤخذ بخيره وبشره.

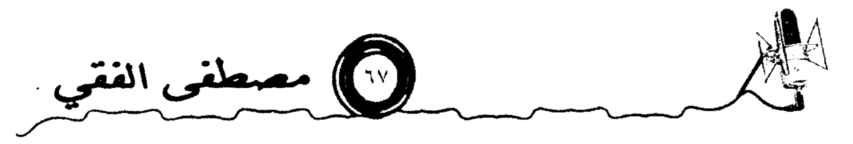
وحدث أيضًا أن غُيِّرت أسماء شوارع عدة.

تغيير أسماء الشوارع مسألة قديمة جدًّا، وتغيير المُسميات.. كل عصر يغير مسميات الذي يسبقه، تقليد مقيت يجب أن نتجاوزه وأن نعترف بالتاريخ بإيجابياته وسلبيات كل فترة؛ فمثلًا فترة ما قبل الثورة كان فيها بعد ديمقراطي، وكان فيها ليبرالية سياسية، وكان فيها زعامات مثقفة، وكان فيها حركة علمية نشطة، بعد ٢٣ يوليو عصر عبد الناصر.. عصر التحرر الوطني وعصر العمل من اجل استعادة كرامة الفرد، وإعادة توزيع الدخل، كانت هناك إيجابيات كثيرة، وعصر السادات عصر وضوح الرؤية وصنع السلام، واستعادة الحريات وإقامة التعددية السياسية، عصر مبارك يحاول أن يكون محصلة لكل هذه الإيجابيات.. يجب أن لا ندين حضاراتٍ من تاريخنا؛ لأسباب

تتصل بالهوى الشخصي أو المعاصرة في الحكم على الأشياء. أفضل شيء أن تحكم أو تُقيّم عصرًا من معاصريه. لا أن تنعكس التجربة الشخصية على الناس؛ كأن نتساءل ما الذي استفاده؟ وما الذي لم يستفيده؟ إنما الأمر يختلف؛ يجب أن نتعامل مع تاريخ مصر كوحدة واحدة. فأنا مؤمن بأن محمد علي هو مؤسس مصر الحديثة، الأسرة العلوية قدَّمت خدمات ضخمة للتحضّر والتمدين المصري، وإسماعيل باشا وإسماعيل المفترى عليه...

الخديو إسماعيل.

فالخديوي إسماعيل في جزء كبير جدًّا مما فعل برغم كل الديون والخطايا، إنما الهدف كان لعمل دولة عصرية كجزءٍ من أوربا الحديثة في عصره؛ لذلك لايجب أن ندين هذا أبدًا، ونتباهى ونقول أنّ عندي أقدم أوبرا موجودة في المنطقة، وعندي أقدم سكة حديد، ثم ندين الأسرة العلوية.. على الرغم من أنهم وظفوا جزءًا من ثروتهم وسلطة الحكم لخدمة الثقافة والتقدم.. كان لكل من



النبلاء والنبيلات من أسرة محمد علي دورًا في الحركة العمّالية والكشوف الجغرافية والأعمال العلمية...

كجامعة القاهرة مثلًا.

نعم، فجامعة القاهرة قامت بالجهود الأهلية وأسهمت فيها أميرة[٣٩] من أسرة محمد علي، قامت بإعطاء الأرض لعملها، لا يجب أبدًا أن نتصوّر أن هذه المسألة إما بيضاء أو سوداء. كل عصرٍ له إيجابياته وله سلبيّاته.

---

(٣٩) **الأميرة فاطمة إسماعيل (١٨٥٣-١٩٢٠)**: هي إحدى بنات الخديوي إسماعيل، تزوّجت عام ١٨٧١ من الأمير طوسون بن محمد سعيد باشا والي مصر، وانفردت بين أخواتها بحبها للعمل العام، وحرصها على المساهمة في أعمال الخير، ورعاية الثقافة والعلم، وكان ابنها الأمير عمر طوسون أكثر أمراء أسرة محمد علي إقبالًا على العمل العام، وتجاوبًا مع الحركة الوطنية، ورعاية للعلم وتشجيعًا للعلماء، ويعكس هذا تأثّره بأمّه راعية للعلم والثقافة.

لذلك عندما أطّلعت الأميرة فاطمة على الصعوبات التي تعانيها الجامعة المصرية عن طريق طبيبها الخاص محمد علوي باشا (عضو مجلس الجامعة المصرية) بادرت الأميرة بإقالة الجامعة من عثرتها المالية؛ فأوقفت مساحة من أراضيها الزراعية على الجامعة حتى تجري ريعها على الجامعة فتضمن بذلك مصدرًا للتمويل، كما تبرّعت بجواهرها الثمينة لتوفّر للجامعة سيولة مالية عاجلة، وامتد كَرَمها إلى منح الجامعة مساحة من الأرض ليقام عليها الحرم الجامعي، وشاركت في وضع حجر الأساس للجامعة، وانتقلت إلى رحمة الله قبل أن ترى صرح الجامعة وقد شُيِّد ومنارتها تسطع بنور العلم على مصر والوطن العربي.

منهجية تقييم العصور

قد نحتاج إلى أن نفرّق بين تقييم العصر وبين الناحية العاطفية فيه؛ نحن نقول مثلًا عصر السادات أو عصر عبد الناصر، ليس المعنى أن أحلل هذا العصر، وأن أنقضه، وأبيّن سلبياته وإيجابياته، فأكونه بهذا منحازًا إلى هذا أو ذاك.. نحن نحتاج إلى التقييم الموضوعي، وهذا التقييم لا يكون فيه تعارضًا لهذا العصر.

لذلك أنني أسعد كثيرًا لما أسمع أحيانًا بعض التحليلات الموضوعية، التي تُعطي لكل ذي حقٍّ حقَّه؛ لأنها في النهاية تعطي لمصر حقها؛ لأن كل ما تقوم به في محاولات هدمٍ سلبية هو قوة مسحوبة من رصيد مصر التاريخي.

إذن، فسيادتك مع تقييم العصر، وعرض تجربته بسلبياتها وإيجابياتها، وليس عدم التعرّض على الإطلاق.

باللهجة الموضوعية حينما نتحدث عن تاريخ مصر. أريد قراءة متجردة لا يحكمها الهوى لهذا التاريخ.

إنما ليس محظورًا ولا ممنوعًا عدم التعرض لتاريخ مصر.

(●) لو فكرت الآن في شابٍّ من الأجيال الجديدة وقد قيل له أن الثورة كانت فسادًا وانحرافًا وإقطاعًا وتسلّطًا.. فعبد الناصر هكذا كان دكتاتورًا، أو فردًا قد استُنزِف في اليمن، وهُزم في ٦٧، وأنّ السادات كان يوظِّف اهتماماته بالعلاقات مع الولايات المتحدة الأميريكية على حساب المصلحة القومية، وأنّه أعاد توزيع الخريطة الاجتماعية على نحوٍ خضع فيه لدخول الطفيلية الناجمة عن الانفتاح الاستهلاكي.. لو قلنا هذا فقط فنحن مخطئون تمامًا لأن هناك جوانب أخرى ضخمة.. ففي رأيي أن جمال عبد الناصر هو باعث الكرامة القومية، وفي رأيي أن أنور السادات صاحب أخطر رؤية سياسية بعد محمد علي في المنطقة؛ كان يعلم أنه لابد أن يلجأ إلى مواطن غير تقليدية لحل المشكلات المتراكمة، لم تكن هناك أُطُرٌ تُوقِفُ طبيعة تفكيره، إنما كانت لديه رؤية بعيدة المدى، وأظنّ أن زعيم دولة يُفكر في تجاوز التاريخ والقفز على الأحداث والتوجّه إلى برلمان الدولة الأخرى بعد حروبٍ أربعة، وبعد صراعاتٍ داميةٍ، طويلة؛ ليتحدث إليهم مباشرة... فتلك مسألة تحتاج إلى

شجاعة الرؤية والبصيرة، ووضوحٍ لا يتمتع به إلا رجل دولة محنّك.

الأخوة بين المسلمين والمسيحيين في مصر

إذن، نُقيّمُ التاريخ وليس في هذا جُرم، ولا يقال إننا نتعرض لزعماء مصر طالما أننا نقيّمه تقييمًا موضوعيًّا ومن أجل أجيال الشباب التي تعيش بيننا الآن وتستمع إلينا في الراديو وتشاهدنا في التلفزيون وتقرأ الصحف.. ينبغي أن نتّصف بالأمانة والموضوعية والتجرّد، بالضبط كما يطالب الأستاذ الدكتور مصطفى الفقي.

كما اقتسبت لسيادتك عنوانًا من رسالة للدكتور يونان لبيب رزق وهو تحت مسمّى «مصر المدنية» ذكّرني بعنوانٍ آخرَ وهو «الأقباطُ في وطنٍ مُتغيّر» وهي دراسة للدكتور غالي شكري[٤٠] يقول

---

(٤٠) **غالي شكري غالي**: ولد في ١٢ مارس ١٩٣٥. كاتب وباحث وناقد ومؤرخ مصري عربي، كان معروفًا بدأبه ونشاطه الحثيث لتأصيل الفكر العربي المعاصر، حاز على جائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ١٩٩٦. توفي في مايو ١٩٩٨ عن عمر ناهز الـ ٦٣ عامًا.

في جزءٍ منها: «ليس هناك ما يُشرَح ويُفسّر للطالب المصري؛ مسلمًا كانَ أو مسيحيًا معنى انتماء مصر إلى الحضارة العربية الإسلامية فإن برامج الإعلام والتعليم تختزن هذا الانتماء في العقيدة الدينية، بينما البناء الحضاري العربي الإسلامي أكثر اتساعًا وشمولًا مما يدفع المواطِنَ المُسلِم والمُواطن المسيحيّ معًا إلى اعتبار هذه الحضارة أمرًا يخصّ المسلمين وحدهم، والآن أعتقد أن هذا متّفق في كثيرٍ من الرؤية مع سيادتك..

بالطبع إنت تعلم أنني أعنى بالموضوعات المتّصلة بالوحدة الوطنية.

نعم.

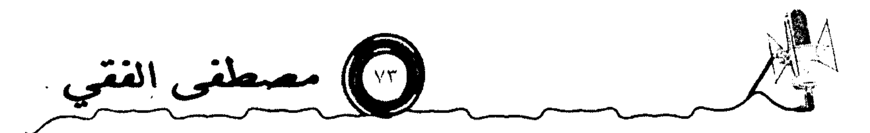
خلال دراستي فأنا مؤمن بأننا شركاء في وطنٍ واحدٍ مُنذ فجر التاريخ، وأنا أتحدّى من يُميّز مُسلِمًا عن قبطيًا في مصر، ما لم تقل له، أو ما لم يوضّح الاسم مثلًا.

نذكر مثلًا اللورد كرومر[41]، عندما أتى في مطلع هذا القرن.. استاء جدًّا من الأقباط؛ لظنه أنهم سيرحبون به، باعتباره ممثلًا لدولة مسيحية.. فرأى العكس تمامًا؛ وجدهم كجزءٍ من نسيج هذه الأمة، تصاعد تاريخًا معها بنفس درجة الولاء والاهتمام والإخلاص. ليس هناك من يُشكِّكُ في مصريّة الأقباط.

وبالتالي، فانتماء الأقباط لهذه الأرض ليس مَحِل جدل. وكثير من الدُّعاة المسلمين قد آمنوا بذلك والتفتوا إليه؛ فلقد أدرك هذا الإمامُ محمد عبده والإمامُ الشهيد حسن البنا. فدور الأقباط في ثورة ١٩١٩ هو خير تعبير عن الدور الذي تقوم به الأقلّية في حياة مجتمع سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا إذا ما أُعطوا الفرصة وتوافرت الضمانات. أنا مؤيد تمامًا للكلام الذي يقال بأننا كلّنا أبناء السبيكة الحضارية، التي هي مزيج من الحضارة الفرعونية، وربما الإغريقية

---

[41] **اللورد كرومر**: الاسم الحقيقي إيفلنج بارنج من مواليد ١٨٤١م، كان مندوب بريطانيا السامي في مصر من ١٨٨٣ إلى ١٩٠٧، وكان الحاكم الفعلي لمصر الذي كان رمزًا بارزًا لطغيان الاحتلال الإنجليزي لمصر، وعرف عنه بغضه الشديد للإسلام وبمقولته إن المصريين لن يفلحوا أبدًا طالما ظل هذا الكتاب (القرآن الكريم) بأيديهم، وفي عهده، عام ١٩٠٦، وقعت حادثة دنشواي.



والرومانية والقبطية، ثم الحضارة العربية الإسلامية باتساعها التاريخي على مدىأربعة عشر قرنًا، حتى الآن نحن جميعًا أبناء هذه السبيكة أو جزء منها.

الدكتور غالي شكري هو الذي يقول هذا وقد كان مسيحيًّا، يقول **«إن انتماءه إلى الحضارة العربية الإسلامية، مطالبًا بعدم اختزال الحضارة العربية الإسلامية في مسائل العقيدة فقط، وإلا أصبح المواطن المسلم أو المسيحي يعتبر هذه الحضارة أمرًا دينيًّا يخصّ المسلمين وحدهم»**.

إنني أذكر المصريين من آبائنا الذين لحقوا بمكرم عبيد باشا، ويرون أنه صاحب الإرهاصات الأولى في الحديث عن القوميّة العربية، وقام بزيارات في منتصف الثلاثينيّات لمدنٍ في سوريا الكبرى، وذهب إلى عكّا وبيروت ودمشق وتكلّم هناك عن الوحدة العربية قبل قيام الجامعة العربية بعشر سنوات على الأقل، وكان يستعير من آيات القرآن الكريم، ويرى نفسه ابنًا للثقافة العربية الإسلامية، ولا يجد حساسية أوغضاضة في ذلك، ويجاهر

بهذا في كل مكان، ولذلك رفعته الجماهير إلى أعلى موقعٍ سياسيّ وصل إليه مواطن قبطي في تاريخ مصر الحديث.. (سكرتير عام حزب الأغلبية لمدة خمسة عشر عامًا).

نعم، في الحزب الوطني، هذا ما يؤكد ما قلته سيادتك في دراستك حول الأقباط في السياسة المصرية، أن الأقباط جزء لا يتجزأ من نسيج هذا الشعب المصري.

هذا صحيح، أنا ناقشت الدكتوراه في جامعة لندن عن «الأقباط في السياية المصرية» وبحثت كثيرًا سواء في مركز الوثائق البريطانية أو في مكتبة المتحف البريطاني أو غيرها من المصادر العربية والأجنبية، وعني إيمان بأنهم جزء متفاعل تمامًا مع نسيج المجتمع المصري، كما قال كرومر عندما أتى إلى مصر، ما وجدت مسلمين ولا أقباط، لكني وجدت مصريين، يذهب بعضهم إلى المساجد ويذهب البعض الآخر إلى الكنائس.

حتى في الشعائر الدينية قد يتحدون أحيانًا؛ فبعض الأقباط قد يصومون مع المسلمين، وبعض المسلمين يحتفلون بأعيادٍ قبطيّة.

كان من تقاليد بعض قرى الريف المصري ألا يحمل جُثمان الميّت المسيحي إلا مسلمون ولا يحمل جثمان الميت المسلم إلا مسيحيون.

لماذا؟

نوعٌ من المشاركة، وتجاور القبور، والإحساس بالأصل المشترك، والحياة المشتركة، والمصير المشترك.

والمدهش حقًّا هو أنك لو أبعدت كلَّ مصري على حِده لتجده مؤمنًا بهذا المفهوم، لكن هناك عوامل خارجية أو عوامل داخيلة في فترة من الفترات، مما يؤدي إلى إرباك المستقرّات الفكريّة.

هذا صحيح تمامًا، أنت أيضًا تلفت نظري لنقطة دائمًا أرددها "المصريون من أكثر شعوب الأرض فهمًا لما يجري، احساسًا بالمشكلات، اعترافًا بالوحدة الوطنيّة.. يظهر هذا إذا وُضعوا أمام

النقد الذاتي، والكل يؤمن أن الوحدة الوطنية هي الأساس، لكن هناك بعض الظروف تدفع لتبنّي مواقف تختلف عما يشعر به بذاته، وهذا شيء مُلفِتٌ، لم أجد له شبيهًا في دولٍ أخرى، فمفهوم أن الفتنة الطائفية لها أسباب في بلدٍ كالهند، لدخول الدولة الإسلامية فيها مع المغول لمدة خمسة أو ستة قرون، فأنهت مرحلة معينة من الثقافة الهندوسية؛ لذلك فالهنود يأخذون موقفًا مُعاديًا لها لهذا السبب.

لا يوجد لدينا مثل هذا، كلنا مصريّون؛ من قبل المسيحية، من قبل الإسلام، منّا من ظل على مسيحيته وقبلنا جميعًا اللغة العربية، نحن نؤكّد عروبة مصر، بالعصر الفاطمي تحديدًا حين قبل الآباء والكهنة اللغة العربية كلغة الصلوات في الكنائس، منذ ذلك اليوم أصبحنا جميعًا عربًا بالمفهوم الثقافي.

الشيخ محمد الغزالي[٤٢] في مناظرته الشهيرة بمعرض الكتاب مع الراحل الدكتور فرج فوده[٤٣] يزيد على ما قلته الآن، وتفضّلت بذكره الآن قائلًا إن الأقباط أسعد أقلية في العالم أغنياء وأقوياء وخرج منهم رئيس وزراء العالم ويثبت أننا نتمنى أن تسود الحريات الإسلامية في العالم..

بالطبع، فكلام فضيلة الشيخ الغزالي في هذه المناظرة الشهيرة مع الكاتب الراحل الدكتور فرج فوده من المحطات التي

---

[٤٢] **محمد الغزالي** أحمد السقا (**١٣٣٥ هـ- ٢٠ شوال ١٤١٦ هـ / ٢٢ سبتمبر ١٩١٧-٩ مارس ١٩٩٦م**): عالم ومفكر إسلامي مصري. يعد الغزالي أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، عرف عنه تجديده في الفكر الإسلامي وكونه من "المناهضين للتشدد والغلو في الدين" كما يقول أبو العلا ماضي. سببت انتقادات الغزالي للأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي العديد من المشاكل له سواء أثناء إقامته في مصر أو في السعودية.

[٤٣] **فرج فوده**: كاتب ومفكّر مصري. ولد في ٢٠ أغسطس ١٩٤٥ ببلدة الزرقا بمحافظة دمياط في مصر. وهو حاصل على ماجستير العلوم الزراعية ودكتوراه الفلسفة في الاقتصاد الزراعي من جامعة عين شمس، ولديه ولدين وابنتين، تم إغتياله على يد جماعات إرهابية في ٨ يونيو ١٩٩٢ في القاهرة. كما كانت له كتابات في مجلة أكتوبر وجريدة الأحرار المصريتين.

أثارت كتابات د. فرج فودة جدلًا واسعًا بين المثقّفين والمفكّرين ورجال الدين، واختلفت حولها الأراء وتضاربت فقد طالب بفصل الدين عن الدولة، وكان يري أن الدولة المدنية لا شأن لها بالدين.

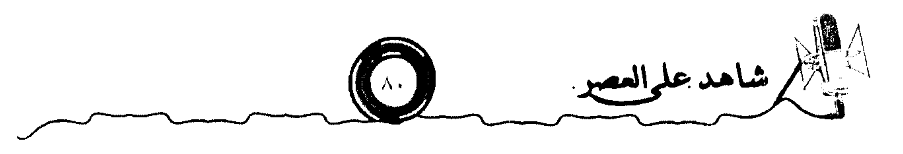
نتوقّف دائمًا عندها، وأنا مؤمن أيضًا مع الشيخ الغزالي أن الأقباط يشعرون بالدفء مع إخوانهم المسلمين، وهم يستحقّون ذلك ليس مَنًّا وتفضُّلًا عليهم؛ لأنهم أصحاب حق وأبناء وطن وشُركاء في التاريخ والمستقبل، إنما تأكيدًا لكلام فضيلة الشيخ الغزالي.. فالمصري بسيط؛ كالفلاح في القرية أو العامل البسيط لا تهدف إليهم أبدًا تلك الدعائم المتصلة بالتفرقة مع أخيه المسيحي، وهناك من الناس من لا يكتشف أن صديقه الحميم هذا مسيحيًّا إلا بمناسبة صلاة أو عيد أو زواج.. إلخ، يوجد بيننا نوع من التجانس الكامل، عشنا معًا، وتربينا معًا. فأقباط مصر لذلك أيضًا يشعرون أنهم جزء متفاعل مع المجتمع، فلا توجد أبدًا حرفة مُحرّمة على المسيحي ومتاحة للقبطي أو العكس بالعكس، لا يوجد حيٌّ يتركّز فيه الأقباط، ولم يعيشوا في بيته.

القبطي صاحب أرض وصاحب وطن، يعيش مع أخيه المسلم، العمارة مشتركة، ولم نر أبدًا في تاريخنا الحقيقي ما ينتقص من هذا.

النقطة المهمة التي قصدتها الآن، أن تجد الشعب المصري كلّه من المسلمين والأقباط يؤمن بهذه المؤاخاة، بل ويعيشها معيشة ومعاملة سامية، وحب تام في نسيج واحد.

هذا دليل على الانصهار الكامل؛ الكثير من المسلمين يذهبون إلى الموارد الخاصة بقديسين، والعكس بالعكس؛ الكثير من المسيحين يذهبون إلى الأضرحة ويشاركون في المناسبات الدينية لأولياء الله.

وروح التعصب دخيلة علينا، والإحساس بالتطرف في هذا يُحدث القلق في الجانب الآخر.. فالتطرف يولّد تطرفًا، والعنف يولّد عُنفًا، والخوف يولّد التعصّب، لو أن المناخ الصحي لمجتمع ما.. يؤمن بنظرية الانتخاب الطبيعي، والكل بحسب كفاءته وبحسب إسهامه بغضّ النظر عن أي اعتبارات أخرى، يُولّد إحساس بالارتياح، ويؤدي إلى مناخ الثقة الذي يستطيع أن يقاوم كل التيارات الوافدة فيما يتّصل بمسائل الفتنة الطائفية أو المساس بالوحدة الوطنية.



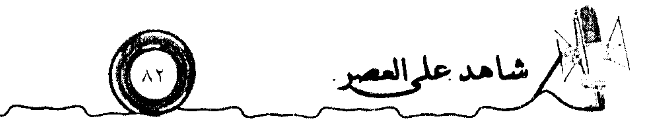
ظاهرة الإرهاب

في المحصلة النهائية تبقى ظاهرة الإرهاب، والتي أحد روافدها هذه الاعتقادات الخاطئة المضلّة والمضلِّلَة في رأي الأستاذ الدكتور مصطفى الفقي، أشرت لنا أو قلت أنها مسألة معقّدة جدًّا، وليست وليدةَ هذا العصر، وأن لها بعدًا عالميًّا؛ فالتطرف موجود في العالم كلّه، لكن في مصر ظهرت هذه الظاهرة بشكل غريب؛ لأننا لم نتعود على هذا على مدار تاريخنا الطويل، فما هي شهادتك على ذلك؟

الواقع أنها ظاهرة تدعونا -في مصر بالذات- إلى القلق؛ أولًا- لأن مصر هي مركز استقرار المنطقة، واستقرارها يؤثر على استقرار كل الدول المحيطة.

ثانيًا- الذي أريد التأكيد عليه أيضًا هو أن هذا النمط من الإرهاب دخيل على الشخصية المصرية.. فالضرب العشوائي قَتَلَ الأبرياء كالاعتداء على الأطفال، وهذه مسائل مؤلمة.

إن مجرّد الحديث عن الظاهرة يعني أننا متفقون على ضرورة مواجهتها، وأظن الأغلبية الصامتة حاليًا عكس ما كانت في البداية.. فحالنا الآن ليس كعشر سنوات مضت؛ لأنه لا علاقة بالدين بذلك النمط من العنف السياسي الذي نشهده... فوضْع الدين هو الرحمة والتعاطف وحماية الأبرياء، لا الترويع للآمنين. لذلك إنّني أرى أن مثل تلك الظواهر عابرة، سوف تنتهي، إنني أرى أن توسيع منافذ الحريات، وتوسيع دائرة المشاركة السياسية، واتخاذ الاصلاحات السياسية والاقتصادية والتفكيرية، هدفًا إلى جانب محاربة الفساد بكل ألوانه، سوف تكون عوامل مساعدة لسحب بعض الظروف المهيأة للتطرّف، بالإضافة إلى تقدّم مستوى الخدمات، ارتفاع مستوى المعيشة، وتغير أسلوب التعليم، كل هذا سيُسهم على المدى الطويل في مواجهةٍ شاملةٍ في تغيير هذه المشكلات، فلم تكن بعض هذه المشكلات تقف وراء التطرّف، إلا أنه يتسثمرها لتدعيم دعواتٍ مُبررة، لكي يتمادى فيما يفعل، وليس له في ذلك أي مبرر، بل يجب أن نعمل جميعًا تحت مظلة الشرعية



وان ننقض العمل في الظلام؛ لأن تلك هي أكبر خطيئة توجّه إلى الإسلام.

إن أكثر ما يؤرقني أننا نقابل قوًى كثيرة في العالم ضد الإسلام، ونفتح جبهات بغير مبرر، وندخل في دهاليز التاريخ لنفتش عن نقاط خلاف في عالم يختلف بطبيعة الأمر.. ويقبل الخلاف بمنطق مختلف تمامًا. يجب أن نفكّر بوعي أكثر وبإنصاف واسع النطاق. لقد قلت أكثر من مرة أنني أدعو إلى تصفية الأمور والبعد عن المطلق، وأن نؤمن بأن ما لا يُدرك كلّه لايترك كله

بنظرة واقعية..

بالضبط هكذا، لكن خبط الرأس في الحائط، والتناطح مع الدنيا، والحديث فقط عن دائرة ضيقة من بعض أحكام الدين الحنيف، وترك أوجهه الرحبة والسّعة.. كل هذا لا من فائدة تجنى من ورائه. الإسلام دين الحضارة والفلسفة والثقافة والدنيا بأجمعها، أنا الآن أدعو إلى مرجعيتي السياسية، هي الدولة الإسلامية؛ أي أن أضع الدين الإسلامي في مكانته العالية السامية،

التي تهفو إليها قلوبنا جميعًا، حتى لا ننزل به إلى مستوى الحياة اليومية بخطاياها ومشكلاتها المعقّدة، فممارسة الدولة الإسلامية سياسيًا لأربعة عشر قرنًا فيها إيجابيات وسلبيات كأي دولة سياسية، فيها عنف وثقافة، فيها طرب وفن، فيها غدر وسياسة.. فاستقرء تاريخ الدولة الإسلامية هذا هو التعبير عن الحضارة الإسلامية وهذا مختلف عن الجانب الروحي للدين الإسلامي نفسه، فلقد رأيت أنهم يتكلمون عن شيئين مختلفين..

وهذا الاختلاف قائم في الحوار، والخلط بين الإسلام وبين الدولة الإسلامية.

لأن الإسلام قد جعل التفكير فريضة وجعل الاجتهاد أمرًا مطلوبًا، والقياس وما تجمع عليه الأمة وما تراه في صالحها.. إلخ. إنني أرى أن الأولوية في الطرح تبدأ من الجانب الفلسفي العام، الحضاري الذي يسمح بالانتشار والتأسيس.. وأنا بريء من النقاط الخلافية، أنا أبدأ بالنقاط الاتفاقية.

من توجهات سيادتك الرئيسية أيضًا اهتمامك بالفكر القومي وتجديده، ما هي تفاصيل هذه الرؤية لديك الآن؟

إنني أرى أن الساحة حاليًا خالية في المنطقة، نستمع إلى القول القائل بأن هناك تيارات متطرّفة.. إذا تعقّلنا نجد أن السبب هو الفراغ السياسي أو الفكري والسياسي معًا، فلا توجد مجموعة أفكار تُصلح عقولنا، وتبدي قناعاتنا مادام هذا الفر اغ موجودًا، وأيضًا الأحزاب تحوّلت في أغلبها إلى صحف الساحة العربية.. ولذلك دعوتُ إلى ضرورة إحياء الفكرة القوميّة لأنني لم أجد صدامًا حتى بين العروبة والإسلام؛ لأن العروبة بعض من الإسلام، التاريخ مشترك، عندما نتكلّم عن الحضارة العربية والإسلامية يبدو الفصل بينهما من الأمور شبه المستحيلة، مما يطرح تساؤلًا: من الذي حمل الآخر؛ هل حملت العروبة الإسلام، أم أن الإسلام هو الذي حمل العروبة؟ ليس كل العرب مسلمين وليس كل المسلمين عرب، من هنا فحديثني عن تجربة فكرة القومية أمر هام للغاية. يجب أن نوظّف تقسيمنا للمستقبل لتجديد الفكرة

العربية بما يناسب روح العصر، دعنا نتفق أن بيننا شيئًا مشتركًا، وبيننا عشرات الأشياء المختلفة.. فلابد من التركيز على نقاط الاتفاق لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وللخروج من المأزق العربي الذي نعاني منه الآن، وتعرضت لفترة التحرر من الاستعمار الغربي وفترة جمال عبد الناصر وهي فترة الصحوة السياسية للفكرة القومية، وتناكسات مع حركة البعث العربي، وقيام الوحدة وحدوث الانفصال والتيارات العربية في ذلك الوقت من وحدويين واشتراكيين وقوميين عرب، وتيارات سياسية مختلفة.. حتى الحزب القومي السوري الذي كان يدعو لسوريا الكبرى قد نُقّصَت مواقفهم ورُفِضَت تبريراتهم كلها.

نحن فعل كل هذا من أجل أمة عربية في النهاية، فلماذا إذن، ندين بسرعة ونجرّم أصحاب الفكر لمجرد اختلافنا معهم؟!

بالمناسبة، لقد كان من كبار دعاة الفكر القومي والفكرة القومية العربية بعض كبار المسيحيين اللبنانيين..

((●)) بالضبط، لقد ركّزنا في مصر هنا على البعد الإنساني لا العربي.

أحمد عرابي كان يتكلم باسم الخليفة العثماني ولابد أن نتحدث من تحت مظلته، إلى وقت سعد زغلول، بدأت الحركة وطنية تكون مصرية خالصة مع سقوط الخلافة العثمانية في مصر. كانت الحرب مع عدو أجنبي، ولذلك كانت فكرة الإسلام إلى ما قبل ثورة ١٩١٩ مباشرة في منطقة الشام، كان الصدام مع الأتراك وهم معهم في نفس الدين، إذن فالخلاف الوحيد هو القومية، ولذلك بحثوا أكثر في مفهوم العروبة، في مواجهة مفهوم التركية أو العثمانية؛ لذلك أبناء الأقليات خاصة لا يهتموا بهذه المسألة، وهي مسألة الفكرة القومية في المشرق العربي.

يجب أن نقدم الإسلام للعصر كما يجب أن يُقدَّم، وأيضا يجب أن نرفع الإشكالية بين الإسلام والعروبة، فالتمسك بالثوابت يعفينا من خطايا الوقوع في كثير مما يُطرح في الأسواق السياسية الآن من دعايا باطلة غير سليمة.

أمّا فكرة النظام العالمي الجديد وهو خلْق نظام جديد بفكر مختلف في شرق أوسطي أو شرق أوسطية.. كل هذه سلع مطروحة في السوق، تحتاج إلى مراجعة دقيقة تتمسك فيها بالقومية وبالثوابت الموجودة عليها، وفي نفس الوقت لا تتحجر أمام المتغيرات القادمة، نحن نعلم أن مصر دائما توازن بين الثوابت والمتغيّرات. مصر ماضي وحاضر، استيعاب الجديد دون التفريط بالإيجابي من القديم.

أنا أعتقد أننا لو واصلنا طرح هذه القضايا والإشكاليات بشكل قومي وشامل، أعتقد أنه يُخفِّف كثيرًا من الغلاء ومن التعصّب ومن التطرّف، نود تسجيل شهادة سيادتك على الدبلوماسية على هذا العصر، وقد تكون تجربة الرئيس الراحل أنور السادات أيضًا في دبلوماسية الصدمات تُلحّ علينا بأن نعرف تطور الدبلوماسية في العالم وفي مصر..

لم تعد وظيفة السفير أو السفارة هي المصدر الوحيد للمعلومات والاتصالات، نافسته في ذلك ما نسميها بدبلوماسية

القمة، كثير من الرؤساء يجدونها أسهل؛ فاللقاء المباشر على مستوى القمة هو الحل لحسم الخلافات والقضايا، ثم إن المعلومات تُصب من كل المصادر، وليس من السفارات وحدها، فلم يعد هناك سر في العالم، حدث ما يُسمى بتبسط المعلومات، فالبتالي أصبحت وظيفتها متمثلة في الجانب التمثيلي أمام ممثل دولته، يتابع مصالحها التي يتم الاتفاق عليها، يرعى الجالية الموجودة فيها، يرصد التحرّكات الدولية والإقليمية فيبعث بتقاريره أو برقياته التي تضع دور مصر في المكان الأفضل.

أنا أركّز الآن على دبلوماسية التنمية والإصلاح الاقتصادي إلى جانب القضايا السياسية الأخرى، فلم يعد لدينا مشكلات بينية ملحة نحن فيها الطرف الفاعل، فبمشيئة الله بإتمام السلام في المنطقة وحلّ القضية الفلسطينية سوف يصبح علم الدبلوماسية المصرية مكرّسًا بالدرجة الأولى من الإصلاح الاقتصادي والتنمية ورعاية الجالية وتمثيل مصر على نحو مشرّف.

هل تجد نفسك في هذا العمل الحالي أم أن طاقتك أوسع من أن تستوعبها المحاضرات والندوات والحضور المستمر ثقافيًا وسياسيًا؟

أنا أحلل الوظيفة الجديدة للدبلوماسي في الخارج، أن يكون مبعوثًا ثقافيًا وسياسيًا يحاضر ويتحدث ويناقش. كثير من سفراءنا يُدْعَون في الخارج للمشاركة في أعمال، ولقد ألقيت سلسلة طويلة من المحاضرات كان لها أثر طيب وقتها، تستخدم طبيعة العمل، مقدمة طيبة للدولة التي أنتمي إليها.

حقًا إنها شهادة ثرية للأستاذ الدكتور مصطفى الفقي مدير المعهد الدبلوماسي، نشكره عليها شكرًا جزيلًا.

شكرًا جزيلًا.

الخاتمة

شهادة ثرية أدلى بها السياسي الدكتور/ مصطفى الفقي، كانت عبارة عن نتاج خبرات ومعارف معاشة من خلال مكانته الحسّاسة في الأجواء السياسية والقرب الشديد من قلب الأحداث والمجريات التي تملك القول الفصل في حال كثير من القضايا.

لا يخفى عل أحد أن الدكتور/ مصطفى الفقي قد أثبت مكانته العلمية وخبراته السياسية الدبلوماسية بجدارة سواء على الصعيد المحلي أو الدولي؛ فمحليًّا عمل سكرتيرًا للرئيس محمد حسني مبارك للمعلومات بين عامي ١٩٨٥، ١٩٩٢. هو عضو بالحزب الوطني الديمقراطي الحاكم، وأمين عام المجلس الاستشاري للسياسة الخارجية، وأمين معهد الدراسات الدبلوماسية، وعضو في مجلس الشعب، وعدة مناصب أخرى.

أما دوليًّا فقد تقلّد المناصب الآتية :

- سفير مصر بجمهورية النمسا.
- سفير غير مقيم بجمهورية سلوفاكيا وسلوفينيا.

- مندوب مصر بالمنظمات الدولية في فينا.
- أحد المتحدثين في الجلسة الافتتاحية للمنتدى الاقتصادي الدولي في «دافوس» بسويسرا في يناير سنة ١٩٩٥.

وحصل على العديد من الجوائز والأوسمة التي منحت له من جهات عدة وبلدان مختلفة ومنظمات شتى.

من أجل هذا كله، بل وأكثر، كانت شهادته على قدمين ثابتتين، تخرج الكلمة مدركة كيف وأين ومتى تُقال، كل لفظة -بحكم الشخصية- في مكانها.

افتتح الدكتور/ مصطفى الفقي شهادته برؤية شاملة حول المتغيرات التى طرأت على المنطقة ككل في الفترة الأخيرة بداية من الحرب العالمية وما انتهت إليه بعد الدمار والخراب، ثم الثورة المعلوماتية التي أحدثت طفرة نوعية في كل مجال من مجالات الحياة وصيرت العالم كقرية واحدة صغيرة.

بعد ذلك ناقش الدكتور فكرة يقظة الضمير العالمي في ظل الظروف الراهنة من مستجدات على الساحة في كل لحظة.. مشيرًا إلى ضرورة الاعتراف بأن هناك صحوة ملموسة من جهات عدة.

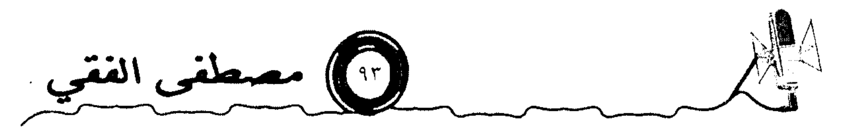
ثم انتقل في حديثة إلى الموطن مصر الغالية، إذ أكد أن هذه البلد رغم كل ما مرت به من مآزق ومحن إلا أنها قادرة على المضي قدمًا، لا يعوقها عائق نحو مسيرة المواكبة والحضارة ومسايرة الشعوب؛ فمكانتها محفوظة لدى الجميع ورأس الشرق وقلب العالم.

وفي خضم الحديث عن مصر تطرق إلى الهوية المصرية ومكانتها بين الدول، وناقش ما تحدث بشأنه الدكتور هيكل من تقسيم الحقب التاريخية إلى مصرية وسعودية.

وكيف يخلو الحديث وهو على هذا الدرب من المأزق العربي والطغيان الإسرائيلي من النقاش؟! أفرد له الدكتور/ مصطفى الفقي جانبًا من شهادته.. ناقش القضية بكل رأي ينبو عن بصيرة ودراية.

ناقش – أيضًا– الازدواج في الشخصية العربية الذي نراه حاليًا، ثم الشخصية المصرية وما لها من أبعاد عالمية وكونية ومشاركات في كل المجالات وحفظ التأثير والبناء بما تقوم به.

وفيما يخص الحكومات التي تتوالي على مصر فقد ألقى الضوء على ظاهرة هي غاية في السلبية تبدو جليّة وواضحة على مدار الزعماء والحكام؛ ألا وهي ظاهرة طمث ذاكرة الأمة في عصورها السالفة من



كل جديد، وضرب مثالًا بصور الزعيمين جمال عبد الناصر والسادات على السد العالي وكيف أنها تتداخلان إلى حد طمث بعضهما البعض.

وفي النهاية تناول قضية الأخوة والترابط بين المسلمين والمسيحيين في مصر وأنه لا فارق أبدًا بين أي مصري لديانة أو لغيره.

وتناول ظاهرة الإرهاب وما تخفيه بأعمالها من جرائم وأفكار هدّامة ليست من الإسلام في شيء بل هي التطرف بعينه بغرض تشويه صورة المسلمين والإسلام.



الفهرس